



جامعة عباس لغرور خنشلة  
ABBES LAGHROUR UNIVERSITY KHENCHELA

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة عباس لغرور - خنشلة



جامعة عباس لغرور خنشلة  
ABBES LAGHROUR UNIVERSITY KHENCHELA

كلية: الآداب واللغات  
قسم: اللغة والأدب العربي  
التخصص: أدب حديث ومعاصر

عنوان المذكرة:

# تشظيات الهوية بين الوطن والمنفى في رواية طفولتي حتى الآن لإبراهيم نصر الله

بحث مقدم لقسم اللغة والأدب العربي لاستكمال شهادة الماستر

إشراف الأستاذة:

د. بوطارفة دارين

من إعداد الطالبتين:

➤ بالة أميرة

➤ حدادي فضا

الاسم واللقب	الجامعة الأصلية	الصفة
عمرو عيلان	عباس لغرور - خنشلة -	رئيساً
دارين بوطارفة	عباس لغرور - خنشلة -	مشرفاً ومقرراً
نبيلة سكاوي	عباس لغرور - خنشلة -	مناقشاً

السنة الجامعية: 2024/2023

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# مقدمة

ترتبط الرواية كجنس أدبي بالإنسان إبداعاً ومادة وتلقياً، تصور قضايا المجتمع، وما يدور داخله مشكلة مساحة مفتوحة لحوار عميق حول مصير الإنسان، حيث تعد الرواية الفلسطينية نموذجاً حياً معبراً ومتحدثاً عن الإنسان مثبتاً مكانتها عربياً، فقد التزمت بالتعبير عن المجتمع الفلسطيني جراء ما عاناه وما يعانيه لحد الساعة من ممارسات همجية مورست في حقه من المحتل الصهيوني الغاصب الذي واصل سحق الفرد الفلسطيني، ما أدى إلى عدم حصولهم على حقوقهم الإنسانية الأساسية، لتعكس الرواية الفلسطينية كفاحاً ونضالاً للذات الفلسطينية التي تبحث عن هوية في ظل إغتراب عكسه السرد الروائي المسجل لأحداث القضية ومراحلها وعملية الاقتلاع واللجوء، محاولة (الرواية) الحفاظ على الهوية مع نشر الوعي على الصعيد الوطني، القومي و العالمي لتحمل الكتابة مسؤولية عظيمة وشرفاً في الوقت ذاته برصد مأساة مستمرة إلى اليوم.

أخرج إبراهيم نصر الله رواية طفولتي حتى الآن كنموذج معالج لتشتت الهوية وتشظي الذات وصراع الأنا الفلسطينية مع الآخر الصهيوني والتمزق الذي يعانيه الفرد سواء كان بسيطاً أو كاتباً مثقفاً بين الوطن والمنفى، من خلال شخصيات، أمكنة، أحوال، أزمنة حاضرة في العمل الفني مستحضراً ماضياً قاسياً وحاضراً أكثر قسوة.

انطلقت الدراسة من عدة أسئلة متنوعة من بينها:

\_ كيف ساهمت الرواية الفلسطينية بخصوصيتها في تصوير واقع الشعب الفلسطيني؟

\_ ما المقصود بالتشظي؟

\_ ما طبيعة العلاقة بين الهوية والذات؟

\_ كيف تمظهرت صورة التشتت والتمزق الذاتي في رواية " طفولتي حتى الآن "؟

\_ ما هي طبيعة الصراع بين الأنا الفلسطينية والآخر الصهيوني والعربي؟

\_ كيف تجلى دور المثقف العربي الفلسطيني في إثبات ذاته؟

وغيرها من الأسئلة التي فتحت لنا أفق البحث.

وجدت عدة أسباب دفعتنا لاختيار دراسة الرواية الفلسطينية منها مزامنة الأوضاع الراهنة وتوثيق الأحداث المأساوية للشعب الفلسطيني وتتبع مسار القضية وتطورها وتصويرها للواقع في ظل الصراع مع الآخر الإسرائيلي.

اعتمدنا في دراستنا على المنهج الموضوعي لكشف المعاني والدلالات في المتن الروائي وتحديد مواضيعه الأساسية والحديث عن موضوعات: الغربة الضياع، نكبة فلسطين، الصراع المتقف، الذاكرة الهوية، المرأة المناضلة، الحب، الكتابة والأدب، الانتماء، وفهم السياق لتفسير الأحداث والوقائع مع توظيف الإجراء الوصفي التحليلي لتتبع المصطلحات التي تخص الموضوع ووصفه كظاهرة.

بعد أن اتضحت معالم المنهج المتبع قسم العمل إلى مدخل جاء بعنوان: "الرواية الفلسطينية من النشأة الى النكبة " تطرقنا فيه إلى:

- مفهوم الرواية الفلسطينية.
- خصوصيتها وقضاياها.
- الرواية الفلسطينية من نكبة 1948 إلى الحاضر. وفصلين الفصل الأول الموسوم:
- ب «تشظي الهوية وانقسام الذات بين الوطن والمنفى» تحدثنا فيه عن:
- مفهوم التشظي
- مفهوم الهوية
- مقومات الهوية، ابعادها ومقوماتها.
- علاقة الهوية بالذات
- مفاهيم الوطن والمنفى وحضورهما في الأعمال الروائية العربية الحديثة.
- تشكل الاغتراب وأنواعه
- أما الفصل الثاني المعنون ب «تمثلات تشظي الهوية بين الوطن والمنفى» تناولنا

فيه:

- صورة التشنت الإنساني والتمزق الذاتي في عنوان الرواية طفولتي حتى الآن.
- مشاهد من النكبة بين تفكك الحياة وتبعثر الذات.
- تمظهرات صراع الذوات في الرواية
- إغتراب الأمكنة في الرواية
- زمن الذاكرة
- تعدد الهويات
- صورة المثقف الفلسطيني في إثبات ذاته
- وخاتمة كحوصلة للنتائج التي توصلنا إليها.
- لإخراج العمل اعتمدنا على مصادر ومراجع أهمها:
- إبراهيم نصر الله «طفولتي حتى الآن»، الدار العربية للعلم ناشرون، دار إقرأ، للنشر، السعودية، الطبعة الأولى، 2022.
- حليم بركات: غربه الكاتب العربي، دار الساقى، الطبعة الأولى، بيروت لبنان، 2011
- جون جوزيف: اللغة والهوية، القومية أثنية دينية، ترجمه: عبد النور خراقي، عالم المعرفة، 2007.
- محمد الشحات: سرديات المنفى، الرواية العربية بعد عام 1967، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006.
- لا يسعنا في الأخير سوى تقديم الشكر الجزيل " لجامعة عباس لغرور خنشلة " وكلية الآداب واللغات قسم الأدب العربي الذي منحنا مقعدا فالماستر، دون أن ننسى المشرفة «بوطرفة دارين» على ما قدمته لنا من توجيهات وملاحظات.

تاويزانت / خنشلة

بتاريخ 2 جوان 2024

# مدخل

## مدخل: الرواية الفلسطينية من النشأة إلى النكبة.

### تمهيد:

- 1- مفهوم الرواية الفلسطينية.
- 2- نشأة الرواية الفلسطينية.
- 3- قضايا الرواية الفلسطينية.
- 4- خصوصية الرواية الفلسطينية.
- 5- الرواية الفلسطينية من نكبة 1948 حتى الحاضر.

**تمهيد:** تعد الرواية العربية من الأجناس الأدبية التي احتلت مكانة عظيمة واهتماما بالغا لدى الأدباء العرب، هي تعبير عن الواقع المؤلم، عالجت العديد من القضايا منها السياسية الاجتماعية، الاقتصادية التي مر بها الفرد داخل الوسط الذي يعيش فيه.

من الروايات العربية التي حمل كتابها القلم بدل السلاح: الرواية الفلسطينية كي تجسد الأحداث ومأساة النكبة، رحلة اللجوء في الأرض المحتلة وكشف الحقائق المسكوت عنها ونقل الوقائع إثر الحرب أو التعبير عن التجربة الشخصية للروائي عن طريق سرد ما عاشه هذا ما يعرف " بالرواية السير ذاتية"<sup>1</sup>.

### 01- مفهوم الرواية الفلسطينية:

هي مجموعة الأعمال الفنية والكتابات حول القضية الفلسطينية التي صورت مأساة الشعب الفلسطيني جراء الحرب الصهيونية وكشف الجرائم التي قام بها، كانت ولا تزال محل اهتمام الروائيون على المستوى المحلي والقومي لتصبح بذلك قضية عالمية.

### 02- نشأة الرواية الفلسطينية:

رسمت الرواية الفلسطينية لنفسها مساراً طويلاً من أجل بلورة الهوية والانتماء، إضافة إلى تعميق الإحساس والعاطفة بالقضية الفلسطينية لمحاولة الكشف عن جوهر الواقع " الفلسطيني"<sup>2</sup> وسبل التخلص من العدو الصهيوني حيث مرت الرواية الفلسطينية بعدة مراحل مهمة في التاريخ الإنساني جسدت كل ما حدث للشعب الفلسطيني داخل أراضيهم المحتلة أو خارجها تتمثل في:

#### المرحلة الأولى: البدايات الأولى للرواية 1920 - 1948.

" نشأت الرواية العربية الفلسطينية عام 1920 رغم الإرهاصات السابقة عام 1885، بداية من رواية خليل بيدس عنونها " بالوارث" إضافة إلى ذلك رواية " إسكندر الخوري البيتجالي"

1 الرواية السير ذاتية: هي شكل من أشكال الرواية باستخدام تقنيات سيرة ذاتية خيالية أو دمج عناصر السيرة الذاتية والخيالية.  
2 فلسطين: هي إحدى الأراضي التاريخية والجغرافية المهمة في الشرق الأوسط، تقع في الجزء الجنوبي الشرقي من البحر الأبيض المتوسط عاصمتها القدس.

المعنونة "بالحياة بعد الموت" الصادرتين في القدس عام 1920<sup>1</sup>، حيث أنها الجذور الأولى لنشأة الرواية الفلسطينية على يد روائيين فلسطينيين، لكنها لم ترقى لأن تكون نموذج الرواية الحديثة.

### المرحلة الثانية: رواية النكبة والبكاء على الأطلال 1949-1967.

"تأخر ظهور هذا النوع من الرواية بسبب الظروف التي حلت بالشعب الفلسطيني، حيث تحدث الروائيين الفلسطينيين عن الأوضاع خلال فترة النكبة وأبدعوا في تصوير اللاجئين الفلسطينيين داخل المخيمات من صراخ وانفعال، حيث تعتبر رواية **غسان كنفاني "رجال في الشمس"** الصادرة عام 1963 أول رواية في مرحلة النكبة موازنة بين الفنية والموضوعية<sup>2</sup>، إذ أن الأوضاع السائدة فرضت تجسيد المعاناة والتركيز على المضمون دون إهمال الناحية الفنية.

### المرحلة الثالثة: رواية النكسة والنضال 1968-1987.

" تمثل هذه المرحلة رواية النكسة والنضال حيث جسدت التحولات التي مست القضية الفلسطينية من حالة التشرد والتهجير إلى حالة مقاومة الكيان الصهيوني واسترجاع أرضهم المحتلة، من أهم الروايات التي عبرت عن هذه الفترة روايتي " أم سعد" و " عائد إلى حيفا" **لغسان كنفاني** الصادرتين عام 1969<sup>3</sup> بمعنى رصد التحولات والتغيرات من حالة التحسر نحو المقاومة ومحاولة استعادة ما أغتصب منهم.

### المرحلة الرابعة: رواية الانتفاضة الفلسطينية 1987-1994.

" تمثل هذه المرحلة رواية الانتفاضة الفلسطينية التي نشأت عام 1987 التي تحدثت عن أهم الممارسات القمعية للاحتلال الإسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني وأهم التحولات التي أحدثتها في الواقع الاجتماعي لقد جسد الروائي **محمد أيوب** هذه المرحلة في رواية " الكف تناطح

1 ينظر، ناهض زقوت: مراحل تطور الرواية الفلسطينية، [www.amad.com.ps](http://www.amad.com.ps) بتاريخ 10-04-2024، الساعة 15:30.

2 ينظر، المرجع نفسه.

3 ينظر، المرجع نفسه.

المخز" التي صدرت في غزة عام 1990<sup>1</sup> أي التركيز على جرائم التي ارتكبتها العدو الصهيوني في حق الشعب الفلسطيني وخلق أسباب الدفاع عن الأرض.

### المرحلة الخامسة: رواية واقع السلطة 1995 حتى الآن.

عبرت هذه الرواية عن واقع السلطة والآثار السلبية التي خلفها المستعمر الصهيوني إضافة إلى الأحداث السياسية المستمرة إلى يومنا هذا، من هنا نجد أن الرواية الفلسطينية مرت بمراحل لتصل إلى ما هي عليه اليوم من النضوج والرقى.

### 03- قضايا الرواية الفلسطينية:

طرحت الرواية الفلسطينية مجموعة من القضايا نتيجة الأحداث المتتالية والمؤثرات الداخلية والخارجية التي أثرت ولا زالت تؤثر على أرض فلسطين "للتعبير عن أزمة الذات الفلسطينية وصوغ خطابات الألم واختبار الأسباب والآثار للنكبة"<sup>2</sup> هذه القضايا تمثلت في: قضية القتل وحتمية الموت والتعذيب بأنواعه على يد المستعمر لتكون الشخصية في الرواية الفلسطينية، ضحية جرائم ومجازر في أماكن عامة أو حتى سقف واحد، لم يقتصر الأمر على القتل المباشر وتفجير المرافق العامة بل تعدى إلى زرع الألغام، الأسر، التعذيب بشتى الطرق اللاإنسانية.

خلف المستعمر أزمات في الذات كالفقر الشديد والتجوع، الذل، الإهانة، الاعتقال، الألم، الإبادة، التدمير، الأبعاد والتهجير، العنف، المرض، الصدمات، " فالنكبة شردت الشعب وفرقت العائلة وشتت الأسرة."<sup>3</sup>

1 ينظر، المرجع السابق.

2 نور الدين الهاشمي: فلسطين حاضرة في مدونة السرد العربي، <https://www.al-watan.com/article/89071/%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B7%D9%86/%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86-%D8%AD%D8%A7%D8%B6%D8%B1%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D8%AF%D9%88%D9%86%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%B1%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A>.

3 رائد الحواري: النكبة في الرواية الفلسطينية، <https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=793582>، بتاريخ 27-03-2024، الساعة 22:14.

27-03-2024، الساعة 22:14.

أيضا تعرض النساء للاغتصاب، كل هذا يجعل من الشخصية مشتتة، متمزقة، متصارعة مع ذاتها ومع الآخر عاجزة عن العيش باحثة عن ذاتها وهويتها، هذا لا يبهر اليأس والعجز التام أمام العدو بل نجد قضية المقاومة والنضال هذا ما يخلق شخصيات مقاومة تسعى للكفاح والصمود في مكان وزمان طابعهما الحرب والقتل، " فالشخصيات الواقعية عندما تظهر على الورق تخلق من جديد لتحديد مصيرها بنفسها"<sup>1</sup> للتعبير عن تجربة الحرب من خلال الشخصيات المتصارعة فكان التطرق إلى هذه القضايا السبيل الأمثل للتعبير عن معاناة الشعب الفلسطيني و إيصال صوته وطنيا، قوميا وعالميا.

#### 04- خصوصية الرواية الفلسطينية:

يعتبر الحديث عن خصوصية الرواية الفلسطينية باعتبارها عملا فنيا إبداعيا على الصعيد العالمي والقومي للحديث عن قضية الصراع والتعبير عن أحداث النكبة والجرائم في حق الشعب الفلسطيني " بكلمات خارقة وحروف مهمشة وجمل مبعثرة ولغة مثقلة بالصور الموجعة والأحداث الأليمة"<sup>2</sup> لتظل الرواية ملجأ للتعامل مع الواقع والوعي بالأسباب والدوافع وراء هذا التمزق، الضياع، الشتات بلغة مباشرة بعيدا عن الرمزية.

تتجلى خصوصية الأحداث من خلال حرص الرواية الفلسطينية على الحديث عن الواقع وتحديده، " فكان للأحداث المتتالية والواقع الذي يعيشه الشعب الفلسطيني شكل لديه وضعا مأزوما"<sup>3</sup> من سرد للأحداث والتركيز على الجانب النفسي للشخصيات إثر هذه الأزمات لتنعكس على الواقع بتجربة الذات المشتقة مع الآخر الصهيوني نجد على سبيل المثال رواية الطنظورية<sup>4</sup> لرضوى عاشور التي تحكي مأساة ومعاناة الشعب الفلسطيني جراء ما يعرف بالتطهير العرقي وما حدث من مجازر فيها سرد لحكاية عائلة كاملة تم اقتلاعها من أرضها لتعيش الاغتراب

1 وحيد تاجا: الرواية الفلسطينية، حوارات نقدية، تق: فيصل دراج، دار الجندي، القدس، د ط، 2014، ص 40.

2 حسين قسيم عبيدات: خصوصية الرواية الفلسطينية، مجلة التربية والتنوعية، جامعة جرش الأصلية، قسم اللغة العربية بتاريخ 27 -

03- 2024 الساعة 22:14.

3 حسن قسيم عبيدات: خصوصية الرواية الفلسطينية، مجلة بحوث التربية والتنوعية، جامعة جرش الأصلية، الأردن، قسم اللغة العربية،

27- 03- 2024 الساعة 22:14، بتاريخ <https://mbse.journals.ekb.eg>

4 الطنظورية: رواية للكاتبة رضوى عاشور، الطنظورية نسبة إلى قرية الطنظورة الواقعة على الساحل الفلسطيني جنوب حيفا، فلسطين.

اتسمت هذه الرواية بأحداث حول المقاومة وممارسات حول التهجير صحيح أنها سرد لحكاية عائلة واحدة لكنها توثيق لتاريخ شعب بأكمله.

جسدت الرواية الفلسطينية الشخصيات كونها محور المعاني والعنصر المتقاطع مع الأحداث، الزمان، المكان، تحت كل الظروف ذلك بتصوير ملامح و أبعاد الشخصيات في المتن الروائي إضافة إلى تصوير الواقع بكل أماله و إحباطاته " الشخصية الفلسطينية في أدب المقاومة كثيرا ما تكون في إطار التفاوض فالشخصية هي صانعة الحدث"<sup>1</sup> أي محاولة إيجاد الحلول تعبر عن الصدق الواقعي والوجداني هذا ما حدث مع شخصية أحمد في رواية "عناصر هدامة" ليوسف الخطيب الذي " شعر بتأنيب الضمير لتقصيره في حق وطنه لتظهر حجم المأساة وعمق المرارة"<sup>2</sup> هذا ما يؤكد أن الشخصية في الرواية الفلسطينية ذات طابع حيوي خاضعة لتغييرات الواقع.

أيضا تداخل الأحداث مع الزمان والمكان حيث لا يمكن الحديث عن إحداهما بمعزل عن الآخر واستخدام التقنيات السردية الاستباق، الاسترجاع، الوقفة لإعطاء أبعاد فنية للزمان. للمكان أهمية في الأعمال الروائية " وصف الأرض الفلسطينية بتفاصيلها الجغرافية والعرقية"<sup>3</sup> نتيجة البعد عن الوطن ومنه خصوصية الأحداث، المكان، الزمان الشخصيات هي غاية الروائي بإحيائه لوطنه ومعاناة شعبه في أرض رافضة للآخر الصهيوني، بإعادة الاعتبار لهوية الشعب الفلسطيني وتاريخه إضافة إلى تسليط الضوء على الواقع قبل وبعد النكبة وما خلفه هذا الأخير من الظلم والاضطهاد.

سارت الرواية الفلسطينية على منحى فني واقعي، الفني يتمثل في الأسلوب الراقى وتوظيف الخيال والأحاسيس، أما الواقعي فهو تصوير قصة شعب كامل وقضية أمة واحدة عن الأدباء العرب للبحث عن الهوية والذات تحت أنقاض الانقسام والتشتت نتيجة أعمال المستعمر

1 فتحي أبو مراد: دراسة تحليلية في الرواية الفلسطينية، قراءة في الشخصية النسوية المحورية والثانونية، معهد اتحاد الجامعات العربية

للآداب، مج 10، ع 1، 2013، ص 462.

2 حسين محمد حسين الصليبي: الرواية الفلسطينية وتجلياتها الفنية والموضوعية في الأرض المحتلة بعد اتفاقية اوسلو 1992، ص38.

3 حسن قسيم عبيدات: خصوصية الرواية الفلسطينية، mbse.journals.ekb.eg، بتاريخ 17- 04- 2024، الساعة 10:21.

الوحي بمحاولة طمس الهوية ليتحول الأدب الفلسطيني عامة والرواية الفلسطينية خاصة إلى وثيقة تاريخية ترصد الأزمات وبيان أن الأرض عرض لا يمكن مساومتها والتفاوض فيها مهما كانت الظروف.

### 05- الرواية الفلسطينية من نكبة 1948 حتى الحاضر.

" تعد نكبة 1948<sup>1</sup> حدث لتأسس كارثة الشعب الفلسطيني والأحداث المتسلسلة المأساوية التي مر بها من اللجوء والتشتت، حيث مرت الرواية الفلسطينية من نكبة 1948 حتى الحاضر بتحويلات كثيرة على مستوى الأفكار، الكتابة، الأسلوب متجاوزة التركيز على الصراع القائم<sup>2</sup>، وتوثيق مأساة الشعب الفلسطيني في ظل هذه النكسة، إذ اشتمل هذا المتن الروائي على إنجاز نصوص سردية للأحداث والأزمات التي انتشرت في مواقع جغرافية مختلفة في فلسطين، لم يعني هذا الاستعمار المدمر محوها من الخريطة فقط إنما اضطرارهم إلى العيش في المخيمات والتسول بالتالي استجابة الروائيين لهذه النكسة ليتحول الروائي إلى صوت الشعب سعت هذه الرواية أيضا إلى استعادة الأرض من خلال إبداع الشخصيات وتصوير الأحداث فهي " ليست تاريخا لكنها سعت إلى تقديم رواية مغايرة قادرة على سرد الحكاية الحقيقية للاستعمار الصهيوني الكولونيالي<sup>3</sup> لأنها الشاهد الوحيد القادر على سرد هذه الحكاية التاريخية وتأثير هذه النكبة على الذاكرة الفردية والجماعية.

قدم الأدب الفلسطيني منذ النكبة 1948 إلى اليوم الكثير من الأعمال الروائية التي تعالج الوضع السياسي والاجتماعي المتعسف السائد، نجد كتاب " الرواية الفلسطينية من سنة 1948 حتى الحاضر لبشير أبو منة" تناول فيه كيفية تأثير النكبة وكيف استجاب الروائيون لهذه

1 نكبة 1948: أول حروب العرب مع إسرائيل دارت عقب إنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين وإعلان قيام إسرائيل 1948، أدت بحياة آلاف الجنود من الطرفين، وانتهت بهزيمة العرب.

2 ينظر، النكبة في عيون الأدب، أبرز الروايات العربية عن القضية الفلسطينية عربي بوست، بتاريخ 16-04-2024، الساعة 21:20.

3 فخرى صالح: النكبة والرواية، أعمال روائية تبلور الهوية الفلسطينية،

بتاريخ 17-04-2024، الساعة 11:25. <https://alarabi.nccal.gov.kw/Home/Article/4837>

الأزمة وكشف رواية تدعو إلى الخلاص الجماعي والمصلحة المشتركة وتحقيق الذات<sup>1</sup> لأن هذه النكبة تركت أثرها على الكتاب والروائيين لأنها قضية إنسانية، وطنية، قومية لكشف المسكوت عنه، من الروايات التي عالجت النكبة نجد رواية "قناديل ملك الجليل لإبراهيم نصر الله" و رواية "قمر في بيت دراس لعبد الله تايه".

على ضوء ما سبق نجد أن الرواية الفلسطينية شغلت حيزا كبيرا لدى الروائيين العرب كقضية إنسانية في المقام الأول وقضية بخصوصيتها وسماتها وتاريخ الشعب الفلسطيني، بتصوير الوقائع الأليمة والتشتت والصراع، حيث كانت الطريقة الأمثل لإيصال صوت الذات الفلسطينية وصراعاتها النفسية، والاجتماعية بإعادة الإعتبار للهوية الفلسطينية التي عانت من التشظي بسبب عدة عوامل.

1 الرواية الفلسطينية من 1948 حتى أسلو،

<https://aawsat.com/home/article/2913711/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D8%A7%D9%A9-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D9%85%D9%86-1948-%D8%AD%D8%AA%D9%89-%D8%A3%D9%88%D8%B3%D9%84%D9%88>، بتاريخ 17-04-2024، الساعة 22:35.

# الفصل الأول

تشظي الهوية وانقسام الذات بين الوطن والمنفى

أولاً: مفهوم التشظي.

1. لغة.

2. اصطلاحاً.

ثانياً: الهوية وأبعادها.

1. لغة.

2. اصطلاحاً.

3. أبعاد الهوية: أ- الهوية من المنظور الاجتماعي

ب- الهوية من المنظور النفسي.

ج- الهوية من المنظور الفلسفي.

د- الهوية من منظور العلوم الإنسانية.

4. مقومات الهوية: أ- اللغة.

ب- الدين.

ج- التاريخ.

د- الثقافة.

ثالثاً: تشظي الهوية وانشطار الذات.

رابعاً: ماهية الذات:

1. لغة.

2. اصطلاحاً.

3. علاقة الذات بالهوية.

خامساً: ثنائية الوطن والمنفى:

1. الوطن: أ- لغة.

ب- اصطلاحاً.

ج- حضوره في الأعمال الروائية العربية الحديثة.

2. المنفى: أ- لغة.

ب- اصطلاحاً

ج- المنفى بين القسرية والطوعية.

د- حضوره في الأعمال الروائية العربية الحديثة.

3. المنفى وتشكلات الاغتراب: أ- لغة.

ب- اصطلاحاً.

ج- أنواع الاغتراب.

## أولاً: مفهوم التشظي:

يعد التشظي سمة من سمات ما بعد الحداثة<sup>1</sup>، فالنصوص في هذه المرحلة احتوت التقطع والاضطراب، صار المبدع يبحث عن ذاته وانقساماته وعلاقاته بمجمعه لتكون الأزمنة والشخصيات غير مترابطة تعيش حالة الانفصال<sup>2</sup>، مما أدى إلى انشطار الأنا والآخر وفرض الواقع من تشظي الذات، الهوية، اللغة نتيجة عدم القدرة على تحقيق الاتزان في العلاقة مع المحيط، تجبره على الارتحال بين مدن وثقافات تتعكس كل منهما على رؤيته وحياته تقضي به إلى الاغتراب عن الذات والمجتمع.

## 1- لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة "شظى" أن تشظي الشيء، تفرق وتشقق وتطاير شظايا، الشظى من الناس: الموالي والتباع تشظيت القوم أي فرقتهم والشظى الشقق والتشقق<sup>3</sup>، حسب ما أشار إليه ابن منظور فإن التشظي مأخوذ من شظايا النار المتناثرة والمتطايرة ليكتسب دلالة التفرق والانشطار فإذا قلنا تشظى القوم أو الشيء انقسموا، أيضاً يحمل معنى التشتت ومنه التشظي يدل على كل ما هو متطاير ومتبعثر.

نجد في الحديث النبوي أن الرسول ﷺ قال: \* يعجب ربك من راعي غنم، في رأس شظية الجبل يؤذن بالصلاة ويصلي فيقول الله عز وجل انظروا إلى عبدي هذا يؤذن ويقيم الصلاة يخاف مني قد غفرت لعبدي، وأدخلته الجنة \*<sup>4</sup>، فالشظية فنديرة<sup>5</sup> من فنادير الجبال وهي قطعة من رؤوسها<sup>6</sup> التشظي هنا جاء بمعنى القطعة الموجودة في الجبل.

1 ما بعد الحداثة: مصطلح ظهر في الفلسفة الغربية أواخر القرن العشرين تميزت بالشك والنسبية كرد فعل على الافتراضات والقيم الفلسفية التي وجدت في الفترة الحديثة من التاريخ الغربي.

2 الانفصال: حالة نفسية من الحزن والألم عكس الاستقرار والاتزان وهي الشعور بأن الأشخاص والبيئة ليسوا حقيقيين.

3 ابن منظور: لسان العرب مادة (شظى)، س أدب الجوزة، إيران، 1984، ج14، ص 434.

4 الراوي: عقبة بن عامر، المحدث: علاء الدين مغلطي، المصدر: شرح ابن ماجه لمغلطي، الصفحة أو الرقم 3/115، خلاصة حكم

المحدث: سنده صحيح، التخریج: أخرجه أبو داود (1203)، والنسائي (666)، وأحمد (17442) باختلاف يسير.

5 فنديرة: قطعة ضخمة من ثمر والصخرة العظيمة تنقل عن عرض الجبل.

6 ابن منظور: لسان العرب مادة (التشظي)، ص 434.

ورد في المعجم الوسيط مصطلح التشظي في مادة (ش، ظ، ي) "شظى العود: تطاير قطعاً، قالوا شظى الصدف عن اللؤلؤ: تشقق عنه، شظى القوم: تفرقوا، وشظى الشيء: شققه فلما"<sup>1</sup> يحمل معاني التطاير، الانشقاق، التفرق والانقسام إلى قطع وعلى اختلاف سياقاته فإنه يحمل معاني التفتت، التهكم والتقطع.

إن تعددت وتنوعت مفاهيم "التشظي" فإن الدلالات اللغوية لا تخرج عن معاني الانشقاق، الانشطار الانقسام والتطاير يستعمل دلالة على التفرقة دون الوصول إلى الوحدة والالتئام<sup>2</sup> التماسك والملا ترابط عكس التوافق.

## 2-اصطلاحاً:

التشظي تمرد على الشكل بل تعدى إلى الدلالات والمعاني في الأعمال الروائية التي تعكس ثنائيات الأنا والآخر، المركز والهامش فهو " بؤرة السرد عن طريق خلق فجوات شواغر، انقطاعات، طيات بين ثنايا السرد تستمد انتشارها من انشطارات العمل الدرامي"<sup>3</sup>، إذا ربطنا التشظي بالسرد يخلق حالة الانشطار والانقسام في هذه الأعمال الروائية السردية.

التشظي " حالة وليدة ما بعد الحداثة وحالة من الغربة والتشرد والضياع والهدم لما هو قديم وفيه يسقط النسق ويسقط التمرکز الأحادي وتخلق بدلا من ذلك سلسلة من البؤر الشعرية المتشظية التي تخلخت فيها ثوابت الأجناس الأدبية من خلال تداخل اللغات والرؤى والأساليب"<sup>4</sup>، التشظي كسر حاجز القديم وتجاوزه هو إسقاط لدور المركز من تمركزه إلى انشطار وتشنت الأجناس الأدبية من خلال الانفتاح على الأفكار واللغات الجديدة لتعالج الاغتراب ليشمل جل دلالات المفارقة.

أيضا من المعاني الاصطلاحية للتشظي أنه " اهتزاز الشكل الواقعي الكلاسيكي المعتمد على سرد خطي والتزام منظور أحادي وطموح في القبض على الواقع في تجلياته التفصيلية

1 إبراهيم مصطفى وآخرون: معجم الوسيط، مادة (ش ظ ي)، مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2008، ص 483.

2 الالتئام: التماسك في النص وهو عكس التشظي والانشطار.

3 عباس عبد حاسم: ما وراء السرد، ما وراء الرواية، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، بغداد، ط1، 2005، ص 105.

4 الصديق طراد: تشظي الدلالة من العنوان إلى النص الشعري الجزائري المعاصر من 1990 إلى 2010، مذكرة ماجستير في الآداب

واللغة العربية جامعة محمد خيضر، بسكرة 2014/2015، ص54.

ومنطقه المرئي.. لكن عوامل معرفية جديدة، زحزحت هذا المفهوم للواقع<sup>1</sup>، بالتالي الرواية الجديدة<sup>2</sup> ترفض كل الأشكال القديمة للرواية الكلاسيكية ذلك أدى إلى تفتت أدوار الشخصيات ودلالات الأمكنة والأزمنة لتبلور وعي جديد.

التشظي ثار وتمرد على الطرق التقليدية للكتابة الروائية فهو إبراز لعلاقة تصارع الذات المغتربة بالواقع ومعالجة حالات الانشطار والتفكك واللا ترابط في الحس الروائي وتشكيل صراع داخلي بين عدة متناقضات مع محاولة التعايش معها.

### ثانياً: الهوية وأبعادها:

موضوع الهوية من الموضوعات والقضايا الحداثية<sup>3</sup> التي نالت اهتمام العديد من الباحثين والمفكرين من المرتكزات الأساسية للمجتمع تعبر عن انتماء الأفراد والجماعات متغلغلة في حياتنا الثقافية، أصبحت الهوية مسألة تثير إشكالات ونقاشات لأنها امتازت بالتعقيد والصعوبة من ناحية ضبط المصطلح بدقة، تعددت دلالاتها وأبعادها من جهة وتقاطعها مع عدة مجالات: علم الاجتماع، علم النفس، الفلسفة والعلوم الإنسانية من جهة أخرى حيث نشأت في عصر العولمة، الانفتاح والتكنولوجيا.

### 1- لغة:

ورد في المعجم الفلسفي أن " الهوية *identité* عند بعضهم هي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق قال الفارابي: هوية الشيء وعينيته وشخصه وخصوصيته ووجوده المنفرد له "بمعنى أن الهوية جوهر الشيء وأصله، دليل على حقيقة وجوده وكيونته بأفكاره وخصوصياته. جاء في لسان العرب لابن منظور " هوى النفس: إرادتها والجمع الأهواء، قال اللغويون: الهوى محبة الإنسان للشيء وغلبته على قلبه هوى بالفتح، يهوى، هويماً، وهوياناً، انهوى سقط

1 محمد برادة: الرواية العربية ورهان التجديد، الصدى للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2011، ص 51.

2 الرواية الجديدة: تيار أدبي ظهر في منتصف القرن العشرين تميز بالموضوعية رفض التيار التقليدي الكلاسيكي يعد آلان روب جرييه منظم هذا التيار.

3 الحداثة: مصطلح يبرز في المجال الثقافي والفكري والتاريخي ليندل على مرحلة التطور التي تبعت أوروبا بشكل خاص في مرحلة العصور الحديثة.

من فوق إلى أسفل<sup>1</sup> حسب ما ذهب إليه ابن منظور فإن المفهوم اللغوي انحصر في دلالة الحب والمشاعر إذا ما ربطناه بالإنسان.

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: «وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ»<sup>2</sup> النازعات، الآية 240، الله تعالى في هذه الآية نهى عن المعاصي والشهوات التي تدعو إليها النفس.

المفهوم اللغوي لمصطلح "الهوية" يحمل دلالات ومعاني الماهية، الوجود، الخصوصية لدى الأفراد وجوهرها للتعبير عن الذات وحقيقتها.

## 2- اصطلاحاً:

تعددت مفاهيم الهوية كونها متداخلة ومرتبطة بعدة مجالات فهي "ذاك الشيء غير الملموس والأكثر تعقيداً وعمقا الذي يشكل في الحقيقة ماهية المرء والذي لا نملك كلمة دقيقة نصفه"<sup>3</sup> رد الهوية إلى الناحية المعنوية المشكلة لجوهر وأصل الفرد، التعقيد يكمن في عدم ارتباطها بمجال واحد لتسهل على الباحث الغوص فيها هذا ما يجعلنا نبحث في كل ما هو مرتبط بها. الهوية تتداخل مع عدة مجالات ترتبط بذات الفرد والآخر داخل مجتمع واحد تجمعهم قيم مشتركة، هي تصور عقلي ليس مادي ملموس تطورت مع مرور الوقت "فالهوية مصطلح يدخل في إطار العلاقات الاجتماعية والثقافية بل حتى النفسية منها من خلال علاقات متداخلة بين الذات أو الأنا والآخر فهي جملة من العلاقات والروابط العقلية نسجها تطور تاريخي محدد في المكان والزمان"<sup>4</sup> أي ربطها بعلم الاجتماع وعلم النفس نشأت نتيجة تطور زمني معين لتشكل جملة من العلاقات.

1 ابن منظور: لسان العرب، ص 478.

2 القرآن الكريم: سورة النازعات، الآية 40.

3 جون جوزيف: اللغة والهوية، قومية اثنية دينية، تر: عبد النور خراقي، عالم المعرفة، 2007، ص 05.

4 محمد أنور إسماعيل: تشظي الهوية وانشطارها في رواية العودة إلى جنوري البدوية لسيف شمس الدين، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة المستنصرية، ع 45، 2019، ص 101.

يعرفها الدكتور سالم لبيض بأنها " المشترك بين أبناء المجتمع الواحد "<sup>1</sup>، فهي مجموعة من العادات والتقاليد القيم اللهجات الأعراف والثقافات تقوم على خصائص ومقومات سماها الدكتور سالم لبيض وأطلق عليها الضمير الجمعي<sup>2</sup>.

الهوية هي الوعي والفردية في فهم الذات ومعرفة جوهر الأفراد وانتماءهم فهي " وعي بالذات والمصير التاريخي الواحد من موقع الحيز المادي والروح يمكنها أن تحدد توجهات الناس وأهدافهم وتدعوهم إلى العمل معاً في تثبيت وجودهم والمحافظة على منجزاتهم"<sup>3</sup>، على الرغم من الصراعات والأزمات إلا أنها تبث في الأفراد الحس المشترك بالانتماء والتاريخ الواحد وتدعوهم إلى إثبات الوجود في الواقع.

### 3- أبعاد الهوية:

#### أ- الهوية من المنظور الاجتماعي:

إن الهوية من المفاهيم ذات أهمية في علم الاجتماع باعتبار الفرد يفرض وجوده ضمن هذا المجتمع فالهوية الاجتماعية هي " السمات والخصائص التي تضفي على الفرد في المجتمع يمثل ذلك إحدى مؤشرات تماسك الهوية الثقافية وهي هوية اجتماعية معروفة من قبل ممثلها الذي يوافق ويشارك في الحياة الاجتماعية عبر انتماءاته الاجتماعية المتنوعة "<sup>4</sup> تتحقق من خلال مشاركة الفرد في حياته والحفاظ على الخصائص التي تميزها ليحصل التماسك الثقافي لأن الهوية مرتبطة بالتاريخ والثقافة وغيرهما من العناصر التي سنخوض فيها في جزء من بحثنا.

يرى ريجارد جيكنز أن " الهوية الاجتماعية هي تصورنا حول من نحن ومن الآخرين حول أنفسهم وحول الآخرين ولن يكون هناك مجتمع بدون هوية اجتماعية "<sup>5</sup> حسب قوله الهوية

1 سالم لبيض: الهوية الإسلامية العربية التونسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص 10.

2 الضمير الجمعي: أو الوعي الجمعي هو مصطلح في علم النفس ابتكر من قبل عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركايم ليشير إلى المواقف والمعتقدات المشتركة التي تعمل كقوة للتوحيد داخل المجتمع.

3 المرجع نفسه، ص 33.

4 أليكس ميكشيللي: الهوية، تر، علي وطفة، دار الوسيم للخدمات الطباعة، دمشق، ط 1، 1993، ص 111.

5 هارلمبس وهولمبورن: سوسولوجيا الثقافة والهوية، تر: حاتم حميد محسن، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2010،

ص 105.

ركيزة المجتمع وأن الفرد ذات انتماء وجوهر في هذه الجماعة إن كانت مفارقات بين الأفراد إلا أنها ثابتة في داخلها.

تخلق الهوية الاجتماعية فرداً بناءً وعضواً فعالاً في مجتمعه لأنها " بمثابة بنى تتقابل فيه الجماعة يكون تأثير وتأثر بينهما"<sup>1</sup>، ليتشكل الفرد ذات فاعلة داخل المجتمع يحافظون فيه على الهوية ويتحقق التكافل بينهما بالتالي " الهوية الاجتماعية مفهوم أكثر التباساً طالما الانتماءات متعددة"<sup>2</sup>، هي انتماء وحفاظ على المبادئ التي ترتقي بالمجتمع وتساهم في بناءه.

### ب-الهوية من المنظور النفسي:

يعد مصطلح الهوية في علم النفس من أكثر المصطلحات تداولاً حيث تفسر السلوكيات ومواقف الفرد داخل الجماعة ترتبط بالذات الإنسانية وأحاسيسها.

يرى إيركسون أن " نمو الشخصية عبارة عن عملية من التمايز والتكامل لتنظيم فيزيو نفسي مطرد التعقيد على مستوى أعلى باستمرار"<sup>3</sup> أي التوازن والتكامل يتحققان عن طريق تشكل الهوية النفسية في مرحلة الطفولة فعلماء النفس يعرفون الهوية على " أنها الشيء نفسه أو مثيله من كل الوجوه، الاستمرار والثبات وعدم التغير"<sup>4</sup>، الهوية النفسية هي ما تقيد النفس وتشعر به من سمات عقلية انفعالية، ترتبط بصورة الذات إضافة إلى أنها أداة موجهة لسلوكه وتصرفاته في المجتمع هي نتاج حالة ذهنية تؤدي إلى الثقة بالنفس والقدرة على الاستمرارية.

### ج-الهوية من المنظور الفلسفي:

عرفت الهوية في الفلسفة على أنها قانون الوجود الإنساني أي مساس قد يلحق بالإنسان وهويته ومبادئه يغيب الوجود وتمزق هويته، فهي " هي موضوع فلسفي بالأصالة عالجه الفلاسفة المثاليون والوجوديون على حد سواء وحولوه إلى قانون، قانون الهوية والوجوديون

1 مجموعة مؤلفين: اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، 2013، ص 50.

2 كلود دوبار: أزمت الهوية، المكتبة الشرقية، بيروت، لبنان، ط1، 2014، ص 25.

3 بيتر كوزن: البحث عن الهوية، الهوية وتشتتها في حياة إريك إيركسون وأعماله، تر: سامر جميل رضوان، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة، 2010، ص 119.

4 خليل نوري مسيهر العاني: الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، دار الكتب والوثائق العراقية، بغداد، ط1، 2009، ص 42.

نفسياً منعاً لانقسام الذات على نفسها وثم إنكار الوجود الإنساني وقد يصبح عند بعض الفلاسفة القانون الأول في الفكر والوجود "1 هذا القانون يحافظ على جوهر وجود الإنسان.

تعرف على أنها " حقيقة الشيء من حيث تميزه عن غيره، وتسمى أيضاً وحدة الذات"2  
بمعنى آخر أنها الأصل والمبادئ التي تميز الآننا على الآخر كل ذات منفردة بجوهرها واعية  
بكينونتها، الفلاسفة القدامى استعملوا " لفظة هوية للدلالة على المعنى الذي أقره أرسطو لمفهوم  
الوجود"3، القدامى ساروا على نهج أرسطو الذي ربط الهوية بالوجود والفكر الإنساني.

الهوية من المنظور الفلسفي تقوم على الفكر والوجود هي جوهر وأصل الفرد تعبر عن  
ذاتيته، جعلوا منها قانوناً إذا حضرت تحقق الوجود إذا غابت تشظت الهوية.

#### د- الهوية من منظور العلوم الإنسانية:

إن الهوية في العلوم الإنسانية هي " الشيء الذي تسكن إليه وتطمئن إليه وتشعر من خلاله  
بالحماية والأمان والتميز فهو يخصك أنت ولا يخص غيرك من غير المنتمين إليه"4، ربطها  
بمبدأ الخصوصية والشعور بكل ما هو خصوصي متميز.

الهوية انفراد للإنسان بذاته ومجتمعه وفق قيم ومبادئ تقوم عليها "تشتمل على الامتياز  
عن الغير والمطابقة للنفس أو للمثيل أي خصوصية الذات وما يتميز به الفرد عن الأغير  
من خصائص وميزات وقيم ومقومات، فميزات الفرد هي هويته وميزات الجماعة هي هوية  
الجماعة"5، أي جوهر الفرد ومنبعه هوية لذاته وما يميز أي مجتمع من خصائص ومميزات  
تمثل هوية المجتمع.

إن مصطلح الهوية ومفهومها يتداخل مع عدة مجالات يختلف من باحث لآخر يمكن  
النظر إليها من عدة زوايا، من منظور المجتمع باعتبار الفرد ذات اجتماعية، من منظور علم  
النفس كونها تشكل في نفس الفرد أزمات وانفعالات، من منظور الفلسفة من خلال ربطها

1 حسن حنيفي: الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2012، ص 09.

2 المرجع السابق، ص 42.

3 فحي المسكيني: الهوية والزمان، تأويلات فينومولوجية لمسألة النحن، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2001، ص 07.

4 خليل نوري مسيهر العاني: الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، ص 44.

5 المرجع السابق، ص 44.

بالوجود والفكر، وما لها من خصوصية في العلوم الإنسانية فلا وجود للفرد دون هوية تثبت وجوده تجمع بينه وبين الفكر والواقع، الوحدة والتعدد لهذا كان من الصعب تحديد مفهوم دقيق لها.

#### 4- مقومات الهوية:

تبنى الهوية على مقومات أساسية لدى جميع شعوب العالم، يشترك أفراد المجتمع الواحد في هذه المقومات تربطهم علاقة الانتماء والمواطنة هي: اللغة، الدين، التاريخ، الثقافة.

##### أ- اللغة:

تعتبر اللغة الوسيلة التي يعبر بها الأفراد عن أفكارهم ومشاعرهم في ذات الوقت هي "المعمار الخفي الذي يتشيد به الفكر ويستقيم"<sup>1</sup> بمعنى أنها أساس بناء الأمة، التواصل لا يحصل إلا بوجودها، الحاملة للأفكار المرتبة لها، هي التواصل مع الغير إذ يستحيل على بني البشر العيش في عزلة فهي تعد " أداة التواصل وكيفية تشكيل المعنى"<sup>2</sup> يستصعب على البشر العيش في هذه الحالة.

تحمل اللغة تاريخ وثقافة المجتمعات لذلك تسعى كل أمة إلى توحيد لسانها القومي باعتبار اللغة والهوية بناء واحد، فاللغة العربية على سبيل المثال " لو أنصفها التاريخ وأهلها لكان من المفترض أن تكون أداة التداول في كل ما يتصل بمجالات الفكر والثقافة والمعارف والتفريط في اللسان القومي تفريط في الهوية وكسر لهيكل المجتمع ووحدته"<sup>3</sup>، أي حاملة في طياتها لتاريخ وثقافة المجتمع لأنها ركيزة الأمة، فاللغة والهوية وجهان لعملة واحدة، لا حضور للهوية في غياب اللغة.

تتجلى أهمية اللغة في تكوين الهوية كونها أداة تواصل تلعب دوراً في تشكيل الهوية الفردية والجماعية لتصبح جزءاً من تاريخنا وثقافتنا، فهي بمثابة الجسر الممتد بين الماضي والحاضر

1 عبد السلام المسدي: الهوية العربية والأمن اللغوي، دراسة وتوثيق، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، 2014، ص 263.

2 جون جوزيف: اللغة والهوية، قومية - إثنية - دينية، ص 29.

3 مجموعة مؤلفين اللغة والهوية في الوطن العربي، إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية، ص 288.

والمستقبل، لسان وفكر كل مجتمع تعبر عن أفكارهم بشكل راقٍ، لتقوم بتعزيز الهوية الانتماء والحفاظ على الجذور الثقافية التي تنتمي إليها، تساهم بذلك اللغة العربية في تطوير التفكير النقدي والإبداعي.

### ب- الدين:

يعتبر الدين إحدى المقومات الأساسية يراعي جوانب الفرد النفسية والاجتماعية لبناء فرد في مجتمع محافظ على دينه وهويته هو " القاعدة الأعمق للتفكير وتحديد السلوك"<sup>1</sup>، للسير على فكر واحد من خلال تشريعات ونصوص دينية تحكم سلوك الفرد إلى طريق الصواب. من المفروض أن يكون الدين " المرجع الأول لشكل وهوية ومستقبل النهضة"،<sup>2</sup> لتتجلى أهميته الفعلية في تشكيل الهوية والارتقاء بالمجتمع، كما أن الدين عنصر فعال في تكوين الأفكار والمعتقدات وبناء الأفراد في ظل المجتمع " فالإنسان لا يتحول إلى مخلوق اجتماعي إلا عندما يتبنى القيم الأساسية والدينية لثقافته"<sup>3</sup> هو بذلك عماد المجتمع والأمة، أي إخلال بالنظام الديني تتزعزع الأمة.

الدين عنصر هام في تحديد وتوحيد غايات الأفراد من خلال الشعور بالانتماء وتوثيق العلاقات بين الشعوب " يكسب الهوية حيوية دينامية وقدرة على الاستمرارية نظراً لأهمية الدور الذي يؤديه علماء الدين في الحفاظ على هوية المجتمع على المدى الطويل"<sup>4</sup>.

الدين من أهم المكونات التي تقوم عليها الهوية، يمنح الهوية القدرة على التأقلم مع التغيرات الاجتماعية، الاقتصادية، والسياسية واستمرارها على اختلاف الديانات.

أيضاً يمكننا القول إن " للدين ذاته دوراً كبيراً في توليد الوحدة وشد اللحمة"<sup>5</sup> بين معتنقيه يقوي شعور أفراد الأمة بالانتماء من خلال الولاء الدائم للعقيدة الثابتة"<sup>6</sup> على اختلاف الديانات

1 خليل نوري مسيهر العاني: الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، ص 18.

2 مارسيل غوتشيه: الدين في الديمقراطية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص 07.

3 فتحي المسكيني: الهوية والزمان، ص 114.

4 سعدية بن دنيا: الهوية الدينية وسؤال الاختلاف، مجلة مقدمات، جامعة مستغانم، الجزائر، العدد 04، 2017، ص 71.

5 اللحمة: القرابة.

6 المرجع السابق، ص 71.

والشعائر فإن هوية المجتمع أو الهوية عامة تقوم على المبادئ والقيم التي توحدتهم ليسيروا نحوها هذا ما يجعل من الدين أهم مقومات الهوية.

### ج- التاريخ:

يعد التاريخ وثيقة كل أمة، هو تسجيل الأحداث والظواهر الماضية من جيل إلى آخر لمعرفة الماضي وبناء المستقبل، استيعاب التاريخ ومحاولة فهمه يجعل من الفرد واعٍ لتاريخه محافظ على هويته "فيلجأ الناس إلى الماضي ليؤكد لهم هويتهم حين تعود الأصالة مجرد سعي يغذيه الحنين فتصبح مرادفة للاستمرارية التاريخية، هويتنا هي ما خلفه لنا أسلافنا"<sup>1</sup>، هذا ما يؤكد الارتباط الوثيق بين التاريخ والذاكرة الفردية والجماعية، للبحث عن هوية أي أمة يجب العودة إلى ماضيها وتاريخها.

يتشكل الماضي حسب الظروف ليحمي الهوية وثوابت الأمة " فالذاكرة تصنعنا ونحن نضع الذاكرة"<sup>2</sup> لأن الإحساس بالانتماء والوعي بالأحداث تبني ذاكرة تاريخية، هذا التاريخ يخلد وجود الأفراد.

للتاريخ أهمية كبيرة لأنه لا وجود لأمة ما في غياب التاريخ "فهو الشاهد الوحيد على أحداث الماضي والحاضر وما يمكن أن يسفر<sup>3</sup> عن المستقبل، أنه (نحن) بكل ما أناخت<sup>4</sup> القرون في شراييننا وبكل ما رسبت الأحداث في واقعنا، أليس من الغين أن يظل هذا الشاهد مغمور العيون والجذور في تراب الأرض والإهمال"<sup>5</sup>، هو منبع استرجاع الماضي يشمل المراحل والتحويلات الأساسية للجماعة ويمثل النشأة الاجتماعية، ما يعيد الاعتبار للتاريخ كمكون من مكونات الهوية.

1 عبد الله العروي: الإيديولوجية العربية المعاصرة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1995، ص 97.

2 جويل كاندو: الذاكرة والهوية، تر: وجيه أسعد، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2009، ص 10.

3 يسفر: يوضح ويكشف.

4 أناخت: ألحقت.

5 عامر ممدوح خيرو: التاريخ بوصفه أداة لتعزيز الهوية الوطنية (قراءة في رسائل فضل الأندلس)، الجامعة العراقية، كلية الآداب،

مجلة مداد للآداب، العدد 25، 2020/2019، ص 614.

تعد المرجعية التاريخية أساس الإنجازات والافتخار بها، فالحضور الفعلي للتاريخ والاهتمام به " يوفر نماذج القدوة من خلال أحداثه فالافتداء هو تمثل معاني الالتزام بالمبادئ، ما يزيد من مكانة الهوية في نفوس من يحملونها الالتفاف حول تلك الرموز التي تعكس الالتزام بالمبادئ الوطنية بأعلى صورها" يحمل التاريخ في طياته مبادئ تساهم في تعزيز العلاقة بين الذات كذاكرة فردية وجماعية وبين الهوية الوطنية.

التاريخ والهوية يساهمان في بناء الذات والحفاظ عليها من الذوبان في الآخر لأن الإنسان يحتاج إلى ذاكرة للاستفادة من خبرات الأجيال التي سبقت، فالشعور **بالهوية الجمعية**<sup>1</sup> من منطلق التاريخ والأحداث الماضية.

#### د- الثقافة:

إن الثقافة هي مجموع العادات والتقاليد، المعايير، القدرات، النظم، الفنون والأعراف التي يكتسبها الإنسان من مجتمعه " فهي ذلك المركب المتجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتعبير والإبداعات"<sup>2</sup> بمثابة القوانين التي تنظم حياتهم ومعتقداتهم، خط أحمر إذا تم تجاوزها بمثابة الوعاء الحامل للقيم.

عرفت الثقافة أيضا بأخذها " طابع الشمولية على نحو واسع يشتمل في إطار عموميته هذه على الغايات المروحة والمعلنة فالثقافة في واقع الأمر كل مكتسب مشترك بين أفراد الجماعة"<sup>3</sup>، ذلك أنها تتميز بالامتناع والشمولية في الزمان والمكان للدلالة على درجة عالية من التطور في جميع المجالات.

إذا نظرنا للثقافة من منظور تاريخي نجد أن التراث والتقاليد في بؤرة اهتمامها، عند المؤرخين يطلق مصطلح الثقافة على الإنجازات الخاصة الفكرية والفنية.

1 الهوية الجمعية: (الوطنية أو القومية): تدل على ميزات مشتركة أساسية لمجموعة من البشر تميزهم عن مجموعات أخرى، أفراد

المجموعة يتشابهون بالميزات الأساسية التي كونتهم كمجموعة وإن اختلفوا في عناصر أخرى لا تؤثر عليهم.

2 شهاب عادل: الثقافة والهوية، إشكالية المفاهيم والدلالة، الملتقى الدولي حول مجتمع المخاطرة، جامعة جيجل، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، 4/5 ماي 2009، ص 08.

3 أليكس ميكشيللي: الهوية، ص 27.

تشتمل الثقافة على جملة من الخصائص باعتبارها سلوك مكتسب ليس فطري يولد مع الإنسان، " الأفراد يتعلمون ثقافتهم الخاصة في مجتمع معين من خلال عملية التنشئة الاجتماعية"<sup>1</sup> أي عن طريق الاكتساب لها القدرة على الانتشار والتغيير مع المحافظة على التراث والتجديد في القيم الفكرية والروحية، " تنتقل من جيل إلى آخر بطرق مباشرة أو غير مباشرة عن طريق اللغة"<sup>2</sup> باعتبارها دينامية دائمة التغيير.

تمتاز بالاستمرارية لأنها انجاز تاريخي مستمر لا تقتصر " على الفرد بل هي مجتمعية"<sup>3</sup> ووسيلة التواصل مع الآخرين والتكيف من خلال تفاعل الإنسان مع بني جنسه.

الحديث عن العلاقة بين الثقافة والهوية باعتبار الثقافة من مقومات الهوية "لا شك أن أي إنتاج ثقافي لا يتم في غياب ذات مفكرة وأن الذات تقوم بدور كبير في إنتاج الثقافة فالهوية الثقافية تختلف من مجتمع إلى آخر ومن عصر لآخر كما تختلف التوجهات الفكرية والإيديولوجية لمنتجي الثقافة"<sup>4</sup> أي لا حدود للثقافة في غياب التفكير والذات لتشكل الهوية كل مجتمع له عاداته تقاليده ومعاييره الخاصة.

تمثل الثقافة أساس هوية الشعوب والقدر الثابت الجوهرية الذي يميز كل حضارة عن غيرها تمر الهوية الثقافية بأزمات فرضتها العولمة<sup>5</sup> ومحاولة فرض ثقافة واحدة مشتركة من طرف الغرب أيضا حضور دور السمعي البصري ووسائل التواصل الاجتماعي ما يؤدي إلى الترويج للثقافات التي ذوبت خصوصية الهوية الثقافية.

تبنى الهوية على مكونات يشترك فيها أفراد الجماعة تربطهم وتحافظ على جذورهم، تعبر اللغة عن أفكارهم بشكل راقى غيابها يمزق الهوية أما الدين هو الركيزة الأساسية لأي أمة لتحقيق الوحدة من خلال مجموعة القيم والمبادئ، بالنسبة للتاريخ هو تسجيل للأحداث وبناء

1 دنيا محمود: خصائص الثقافة في علم الاجتماع وأنواعها، <https://www.almrsal.com/post/1130566>، بتاريخ: 13

مارس 2022، الساعة 20:20.

2 المرجع نفسه.

3 المرجع نفسه.

4 شهاب عادل: الثقافة والهوية، ص 08.

5 العولمة: ظهر هذا المصطلح أوائل القرن العشرين هي عملية التفاعل والتكامل بين الأشخاص والشركات والحكومات في جميع أنحاء العالم.

ذاكرة جماعية لأنه لا حضور لأمة وهويتها دون تاريخ، أما الثقافة هي التأثر والتأثير في الآخر ما يسمى ب **المثاقفة**<sup>1</sup> ، هذه المقومات تجمع الأفراد في ظل الانتماء والمواطنة لبناء مجتمع متماسك خالٍ من الأزمات والصراعات.

### ثالثاً: تشظي الهوية وانشطار الذات:

إن البحث عن ماهية الهوية يخلق التعقيد والصعوبة كون الأفراد في بحث مستمر عن الهوية الأم وجذورها، يخلق تشظي الهوية ذات ضائعة منقسمة بسبب عوامل منها تعدد الهويات واختلاف العادات، التقاليد، القيم، الثقافات، التاريخ، الدين، اللغات واللهجات، ما يجعل الأنا في حالة ضياع وبحث عن هوية واحدة ينتمي إليها يكتشف ذاته من خلالها.

الهوية المتشعبة هي " هوية مفككة المعالم مبعثرة الأوصال تتنازعها هويات شتى جراء تأثير السلطات المختلفة فيها بدءاً من سلطة التكوين القيمي لذات الهوية وصولاً إلى ضغوط سلطات الآخر"<sup>2</sup>، أي التأثير الذي تحدته السلطة الفكرية، الأعراف، المجتمع، التنوع، في الهويات يضع الذات محل اللا ترابط والضياع لأن التعددية تركز على هويات ثانوية وتهتمش الهويات الأساسية.

أيضاً من عوامل تفكك الهوية: العولمة والاستعمار لأن غرض المستعمر ازدواجية الهوية والشعور بالدونية أيضاً التقليد الأعمى للغرب والانبهار به فشعور الفرد بالتناقض هو أساس انشطار الذات والهوية " فتظهر لنا هوية لا رابط بين انتماءاتها هوية فاقدة لهويتها جراء خلل ما"<sup>3</sup> بمعنى أن الهوية تفقد خصوصيتها وقيمتها جراء هذه العوامل تتمزق وتتلاشى، انشطار الهوية هو تفتت للذات والجماعة.

تشظي الهوية يظهر من جانب محاولة الفرد الحفاظ على ذاته، هويته وتمسكه بها ومحاولة البحث عن هوية أخرى نتيجة التعدد والاختلاف أو نتيجة الاغتراب داخل الوطن بسبب عدة

1 المثاقفة: دراسة التطورات الناتجة عن اتصال ثقافتين تتأثر وتؤثر إحداهما في الأخرى هي حتمية تفرضها الحياة المعاصرة.

2 محمد فليح الجبوري: الهوية السردية المفهوم والتجلي، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 18، العدد 1، 2021، ص 275.

3 المرجع نفسه، ص 275.

عوامل أو التهجير ومصارعة الواقع في غير بلاده، لهذا الهوية الموحدة منبع الاستقرار والانفتاح فالدفاع عن الآخر<sup>1</sup> وهويته يشكل الانشطار والانقسام.

#### رابعاً: ماهية الذات:

إن صورة الذات لا تتحقق بمعزل عن الآخر لأنها تميز الفرد بشخصيته، هويته، تصوراته ومعارفه تتجلى من خلال تفاعله مع الغير وهي من أنجح خطوات التواصل لكن في الوقت ذاته يجب معرفة نظرة الآخر لنا للتجاوز ومحاولة التفاهم، معرفة ذاتنا في مواجهة الآخر تقتضي البحث في نقاط القوة والضعف ليتلاشى الضغط انقسام الذات يرتبط بالناحية النفسية، الاجتماعية وحتى السلوكية.

#### لغة:

إن الذات تحمل دلالات ومعاني عدة في المعاجم والقواميس كما ورد في المعجم الوجيز هي " ذات الشيء: حقيقته وخاصته يقال نقد ذاتي: نقد يرجع إلى آراء الشخص وانفعالاته وهو خلاف الموضوعي"<sup>2</sup> معنى الذات في السياق جوهر وأصل الشيء تخالف كل ما هو موضوعي، تكتفي بالفرد والانفعالات الخاصة به.

يقال أيضا " جاء فلان بذاته: عينه ونفسه وجاء من ذات نفسه يقال هي ذات مال وذات أفنان ومثناها ذواتا"<sup>3</sup> أي ربطوها بالنفس في قولهم ذاته أي نفسه وعينه.

جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ثن إنه عليم بذات الصدور ثم<sup>4</sup> سورة الملك الآية 13، أي أن الله تعالى عالم بحقيقة القلوب وما تخفيه في السر أو العلن. المعنى اللغوي للذات يتمحور حول النفس خصوصيتها وحقيقتها.

1 الأخر: يشير مصطلح الآخر إلى الغير والغيرية هو من ثم شيء آخر غير الذات الفردية والجماعية من المفاهيم حضورا في الكتابات المعاصرة من خلال ثنائيات الأنا والآخر.

2 معجم اللغة العربية: المعجم الوجيز، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 2000، ص 242.

3 المرجع نفسه، ص 242

4 القرآن الكريم: سورة الملك، الآية 13.

## اصطلاحاً:

أما من الناحية الاصطلاحية فإن مفهوم الذات ارتبط ارتباطاً جذرياً بعلم النفس فهي شعور داخلي، نفسي غير مادي يتفاعل من خلالها مع الآخر والواقع بتغيراته إذ لها صلة بالمجتمع والسلوك أيضاً.

يرتبط مصطلح الذات " بجانب الشخصية الذي يتكون من مفهوم الفرد عن نفسه وتعد طريقة إدراك الشخص لنفسه محصلة لتجاربه وخبراته مع الآخرين ولطريقة تصرفهم نحوه تتطور الذات وتتمو خلال عملية التنشئة الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي"<sup>1</sup>، أي حاملة في كينونتها تجارب الفرد وأفكاره، مع محاولة التفاعل مع الآخر داخل المجتمع، يطلق عليها أيضاً مصطلح " الأنا"<sup>2</sup> لا وجود للذات في غياب المجتمع لأنها ترتبط بالجماعة وتثبت جذورها.

أما من ناحية ربط الذات بالجانب النفسي هي تركيز على الجوانب الشعورية والنفسية الخاصة بالفرد التي تمكنه من التحكم في مشاعره وسلوكياته، الدليل على هذا أن حامد زهران يعرف الذات " بأنها تكوين معرفي منظم ومتعلم للمدركات الشعورية والتصورات والتقييمات الخاصة بالذات"<sup>3</sup>، أي ربطها بالشعور والسلوك، كل ما له علاقة بذات الإنسان هو المسؤول عنها.

تشير فيوليت فؤاد أن " الذات الإطار المرجعي الذي يعطي القوة والمرونة للسلوك الإنساني أو يمكن تقويم الشخصية من خلاله"<sup>4</sup>، بوصف هذه الذات حالة شعورية تمنح الفرد الشعور بالقوة أو الضعف لإطلاق بعد ذلك الحكم عليها وتقويمها، يمكن القول عن الذات أنها شعور نفسي روحي ووعي الفرد لذاته والآخر الذي يعيش معه.

1 أمل عبد الفتاح شمس: مفهوم الذات وصورة الآخر لدى عينة من الأحداث المودعين بمؤسسات الأحداث بالقاهرة الكبرى، مجلة العلوم

البيئية، معهد الدراسات والبحوث البيئية، جامعة عين شمس، حلوان، مج 44، العدد 2، ديسمبر 2018، ص 153.

2 الأنا: الذات المفكرة الواعية العارفة لنفسها.

3 المرجع السابق، ص 153.

4 المرجع نفسه، ص 153.

تطرق العالم النمساوي سيغموند فرويد<sup>1</sup> إلى مصطلح الذات من خلال دراسة النفس البشرية هذا ما دعت إليه مدرسة التحليل النفسي<sup>2</sup> قسم فرويد النفس إلى ثلاثة أقسام وهي: الهو الأنا والأنا الأعلى.

- **الهو:** " هو ذلك القسم من الجهاز النفسي الذي يحوي كل ما هو موروث وما هو موجود من الولادة"<sup>3</sup>، أي فطري مكتسب تتحكم فيه اللذة والغرائز الموروثة لا يراعي المبادئ.

- **الأنا:** هي " وسيلة يستطيع بها الأنا أن يقبض على زمام الهو وأن يوثق علاقته به واستسلامه لخبرات الهو إلى درجة كبيرة"<sup>4</sup>، شخصية الفرد تكون بين الأنا والأنا الأعلى والهو هي مرتبطة بقيم المجتمع والأنا الأعلى.

- **الأنا الأعلى:** يسيطر على الأنا في " صورة الضمير أو الإحساس اللاشعوري بالذنب"<sup>5</sup>، يسمى أيضا بالأنا العليا والضمير يتجه نحو الكمال والابتعاد عن اللذة والرغبات.

محاولة فرويد التأكيد على ضرورة التوافق بين العناصر الثلاثة لتحقيق التوازن النفسي والذات السوية للفرد أي إخلال يحدث اضطرابات وأمراض نفسية.

تداخل مصطلح الذات مع الأنا والآخر يفسر من الناحية النفسية، الاجتماعية والسلوكية تتشكل هذه الذات من خلال إثبات الفرد لذاته ورأي الآخر فيه، أي وجهان لعملة واحدة لا يمكن الفصل بينهما، لأن حضور الذات وسيطرتها تشترط وجود الآخر والتفاعل معه.

### علاقة الذات بالهوية:

إن الحديث عن علاقة الذات بالهوية باعتبارها عملية بناء وتحقيق الذات، هي إدراك وتقييم الفرد لنفسه وتقييم الآخر له، تكشف عن الأنا والآخر تمكننا من معرفة الذات من خلال التفاعل بين الأفراد.

1 سيغموند فرويد: طبيب نمساوي، اختص بدراسة طب الجهاز العصبي أسس مدرسة التحليل النفسي وعلم النفس الحديث.

2 التحليل النفسي: منهج لتحليل العمليات العقلية اللاشعورية وتبيين العلاقة بين الشعور واللاشعور وطريقة العلاج النفسي ناجحة على المستوى العلمي العملي والفكري.

3 سيغموند فرويد: الأنا والهو، مكتبة التحليل النفسي والعلاج النفسي، دار الشروق، القاهرة، ط 4، 1982 ص 16.

4 المرجع نفسه، ص 56.

5 المرجع نفسه، ص 58.

هذه العلاقة تبادلية تتحقق كل منها في وجود الأخرى، تقتضي معرفة الذات البشرية وبناء خصائص نفسية يفرضها الواقع فيصبح الفرد فاعلا ومتفاعلا، " فالذات الفردية الحرة والمستقلة كفيلة لتحقيق العدالة والمساواة لأنها قادرة على تأسيس مجتمع ديمقراطي حر ومستقل ذو روابط متماسكة ومتكاملة"<sup>1</sup> أي أن الذات تؤسس لمجتمع قائم بذاته إذا كانت حرة قوية منه تتشكل هوية الجماعة المترابطة.

التخلي عن الهوية إلغاء للفرد والمجتمع لأن " هوية الذات تستند إلى ماضيها وحاضرها، فقدان الماضي يؤدي إلى ضياع الذات وتفككها وانشطارها"<sup>2</sup>، فتشكل الذات بمبادئها وأخلاقها وإسهاماتها يعلي من شأن الهوية الذاتية وحاضرها لتكون الهوية متعلقة بالذات الفردية، فهم الذات لا يكون إلا داخل المجتمع المشكل لها.

الهوية هي نظرة الذات في الوسط المعاش الخاضع للإكراهات " والاستيلا ب"<sup>3</sup> لتدخل في أزمات وصراعات، تخضع الذات " للمجال الخبراتي في نطاق التمدد والامتداد"<sup>4</sup> أي محاولة الحفاظ على الهوية وإثبات سيرورتها مع الزمن الراهن في عصر الأزمات والصراعات.

### ثنائية الوطن والمنفى:

إن ثنائية الوطن والمنفى من أسمى وأعمق المواضيع التي اهتم بها الأدباء والروائيين في أعمالهم، حيث أن الأعمال الروائية لا تكاد تخلو من هذه الثنائية، هذا راجع إلى العصر والظروف المعاشة من طرف الروائيين خاصة والشعب عامة، فكل عمل روائي يمثل سيرة ذاتية لصاحبه أو ينقل معاناة شعبه وأمتة، سواء كانت النزعة الوطنية أو القومية لكشف

1 أنجيل الشاعر: الهوية والذات، <https://common-ground->

[sy.org/civil\\_society/%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%88%D9%8A%D8%A9-](https://civil_society/%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%88%D9%8A%D8%A9-)

[.html](https://civil_society/%D8%A7%D9%84%D8%B0%D8%A7%D8%AA.html) ، بتاريخ 18-03-2024، الساعة

16:00.

2 ينظر، نبيلة فراحتية: تشظي الهوية وانشطار الذات في الخطاب الروائي الجزائري، قراءة في روايتي "الانطباع الأخير" و "ما لا تذروه

الرياح"، رسالة دكتوراه في الدراسات الأدبية والنقدية، جامعة البليدة، الجزائر، 2021/2020، ص 760.

3 الإستيلا ب: الانسلاخ من الذاتية والخضوع لتبعية الآخر كحضارة أو ثقافة.

4 المرجع نفسه، ص 760.

الحالات النفسية الاجتماعية في الوطن والمنفى لذا لا بد من تحديد مفاهيم كل منهما وحضورهما في المتن الروائي.

## 01- الوطن:

### أ- لغة:

- وردت لفظة "وطن" في لسان العرب لابن منظور على أنه " المنزل الذي تقيم به وهو موطن الإنسان ومحلّه، خففه رؤية في قوله: أوطننت وطنا لم يكن من وطني لو لم تكن عاملا لم أسكن ولم أرجن بها في الرجن وقد ذكر في موضعه والجمع أوطان الغنم والبقر مرابضها وأماكن تأوي إليها"<sup>1</sup> ، ما يراد به أن الوطن مكان إقامة الإنسان واستقراره، حيث ينتمي إليه فهو المكان الذي نشأ الإنسان وترعرع فيه منذ ولادته.

- كما وردت لفظة " وطن" في بعض معاجم اللغة تعني " وطن، توطينا إذا عود نفسه على أمر أو إذا جعل غيره يستقر في مكان ما، المواطن هو المقر وجمع أوطان"<sup>2</sup> فالوطن في اللغة أكثر مرونة وفردية، يرتبط ارتباطا وثيقا بالعواطف والأحاسيس المتعلقة بالفرد يؤدي ذلك إلى الحفاظ على الهوية الشخصية وعدم فقدانها.

### ب- اصطلاحا:

يعرف الوطن على أنه " مساحة الأرض أو المنطقة التي تولدت فيها الهوية الوطنية للشعب"<sup>3</sup> ملجأ الفرد وبيئة تكوينه نفسيا أي الحيز الذي يجمعه مع أهله.

في البداية كان يعني " الانتماء إلى القبيلة أو العشيرة أو الأرض ليصبح اليوم موقعا سياسيا وفلسفيا ومناقشة في المنظومة الثقافية من وطن وما انشق عنه كوطنية ومواطنة في أشكالها الحديثة"<sup>4</sup> في بداية الأمر كان الوطن يعبر عن الانتماء إلى منطقة ما لا ينفصل عنها، أما في العصر الحديث ارتبط بعدة جوانب منها الهوية اللغة، الدين و التاريخ لأن الوطن انتماء

1 ابن منظور: لسان العرب، ص 949.

2 عبد الحق الكتاني: معجم اللغة العربية (المغني)، ص 554.

3 محمد العرابي: الوطن في الذهنية العربية بين الماضي والحاضر، مجلة اللغة العربية جامعة بشار، العدد السادس والثلاثون، ص

180.

4 المرجع نفسه: ص 184.

وهوية للذات، منه نجد اشتقاقات الوطنية والمواطنة<sup>1</sup>، الأولى تستعمل للدلالة على المواقف الإيجابية المؤيدة من طرف الأفراد والمجتمعات، أما الثانية تعني توحيد الانتماء ومشاركة الجماعة في بناء وطن واحد والحفاظ عليه.

نجد أن الفرد له صلة جسدية روحية بوطنه والمحيط الذي يعيش فيه فهو " الارتباط الوثيق بين الإنسان وأرضه التي تربي فيها ونشأ عليها وأهله وقومه الذي عاش بينهم"<sup>2</sup> هو الأرض التي تجمع الأفراد لذلك وجب عليهم المحافظة عليه، فالهجرة والخروج منه ينتج الحنين والشوق للعودة إليه.

الوطن هو الإنسان والأرض معا لأنه من اللامعقول وجود أرض دون إنسان حتى إن كان منفيا عن وطنه لا يسلبه انتمائه فهو الحزن الأول للأدباء والروائيين من خلال إبداعاتهم ليكون عنوانا لأعمالهم.

يقوم الوطن على مقومات أهمها العادات، التقاليد، الأعراف، التاريخ المشترك، الأمن، العدالة، المساواة، والارتباط بين الشعب، الأرض، الدين واللغة، هذا الوطن يمثل الأنا الفردية والذات بميزاتها وخصائصها لما له قيمة في شكله أرض ورقة جغرافية أما في مضمونه مجموعة القيم والمبادئ.

وحدة هذه العناصر تشكل التماسك الاجتماعي والقومي لتكوين الشخصية الوطنية، الوطن موجود داخل كل فرد وروائي فهو " الإحساس المتجذر في حياتنا منذ ولادتنا نشم هواءه كي نعيش ونشرب ماءه فيسري بين الضلوع يقوينا هو ذا الوطن الذي نرتعش حين نذكره ونشتاق إليه حين نبتعد عنه ونتوق إليه إذا تهنا في المدارات"<sup>3</sup> يمثل أصل الأفراد والحس الجماعي يسري في شرايينهم فالوطن هو انتسابهم ووحدتهم.

### ج- حضوره في الأعمال الروائية العربية الحديثة:

1 الوطنية: التعلق العاطفي والولاء لأمة محددة أو منطقة جغرافية بصفة خاصة.

المواطنة: تعني الفرد الذي يقوم بمشاركة الآخرين على رفع المستوى الحضاري لمجتمعه.

2 شهاب الدين محمد أبو زهر: المسؤولية الوطنية نحو الوطن، دراسة موضوعية في ضوء السنة النبوية، جامعة الملك خالد، كلية الشريعة وأصول الدين السعودية، المجلد 6، العدد 36 ص 752.

3 أمينة فلاتة: الوطن في ميزان الأدب بين الاغتراب، [www.fargad.sa](http://www.fargad.sa)، بتاريخ 20مارس2024، الساعة 18:00.

تطور الحديث عن الوطن مع توالي النكبات القائمة في الوطن العربي وازدياد الوعي بضرورة الدفاع عنه حتى إن كان الأديب خارج وطنه أو مغترباً داخله في ظل المستعمر لتحقيق الاستقرار أو العودة إلى الديار.

برزت عديد الكتابات حملت في طياتها قضايا وطنية وقومية لإثارة الضمير والوجدان لاستعادة الوطن المسلوب المغتصب، فإن تحدثنا عن الرواية الجزائرية نجد البداية الفعلية انطلقت مع الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية أي لغة المستعمر الذي حاول طمس الهوية الجزائرية بثتى الطرق لتنتشر روايات ثورية امتزجت بالحث على الثورة نجد من هذه الأعمال " بوابة الذكريات" لآسيا جبار " لتطلق العنان لذكراياتها الحميمة كي تقدم لنا هذا الكتاب الأكثر ذاتية بكثير من العاطفة والصفاء"<sup>1</sup>. أيضا نجد مولود فرعون في روايتي " الأرض والدم"، " نجل الفقير" الذي عالج الصراعات ومحاولات طمس الهوية لهذا التزم بفكرة الاستقلال.

أيضا حضور الوطن في الروايات الفلسطينية خصوصا في عصرنا الحديث أصبحت القضية الفلسطينية قضية الروائيين أبداعوا فيها لأن هذه الأرض أحق بأهلها، استرجاعها لشعبها و إعادة الاعتبار للتاريخ والهوية من أولويات الكتابة في العصر، نجد واسيني الأعرج في رواية " سوناتا لأشباح القدس" تحدث عن الذاكرة و المعاناة في فصول الرواية نجد " مدونة الحداد و سوناتا الغياب"<sup>2</sup> أيضا غسان كنفاني في رواية " العودة إلى حيفا" التي نقلت الواقع في ظل القمع و المقاومة أما رواية " يافا" لنبال قندس عالجت الاشتياق والعزلة " حيث كتب الأدب الفلسطيني وأدب المقاومة ... وأحوال المخيمات الفلسطينية وأوضاع اللاجئين"<sup>3</sup> وغيرها من أعمال الروائيين سواء كانت نزعتهم وطنية أم قومية لتجسد الواقع الأليم والدفاع عن الهوية والأرض بإيصال صرخة الإنسان والتأكيد على ضرورة التأهيل والمحافظة على الأرض، اللغة، التاريخ وغيرهما في ظل الاستعمار بالرغم من العوامل التي تجعل الفرد منفيا عن وطنه أو مغتربا داخله.

1 آسيا جبار: بوابة الذكريات، تر: محمد يحياتن، سيديا، 2007 ص 534.

2 واسيني الأعرج: سوناتا لأشباح القدس، دار الآداب، بيروت، ط1، 2009، ص 567.

3 نبال قندس: يافا، حكاية غياب ومطر، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2014، ص129.

## 02-المنفى :

## أ- لغة:

لفظة منفى في بعض المعاجم اللغوية " مشتقة من كلمة نفى وأصله ينفي نفيا إذا أنكر ما نسب إليه فيقال نفى الولد أن يكون هو من كسر الإناء، نفى الشاهد ما قيل عن الحادث، نافٍ، نافية يكون أيضا بمعنى طرده وأبعده عن وطنه إما عدوانا أو عقابا، نافى ينافي منافاة إذا تعارض واختلف فيقال: الحق ينافي الباطل"<sup>1</sup> يقصد بذلك إبعاد الفرد عن وطنه والانفصال عنه أو طرده إكراها، الابتعاد قد يكون بإرادته.

أما في لسان العرب لابن منظور نجد " لفظة نفى تعني تنحى أي نفى: نفى الشيء ونفيته أنا نفيا إذ ثار ذهب وطررد"<sup>2</sup>، هنا يأخذ المنفى معنى الابتعاد والطررد. إن تعددت دلالات ومعاني المنفى اللغوية فإنها لا تخرج عن معنى الابتعاد، الطرد، الإقصاء، الاقتلاع، العزل عن الوطن.

## ب-اصطلاحا:

إذا كان الوطن انتماء لتحقيق للذات فإن المنفى غربة هذه الذات والعزلة عن المجتمع " هو أحد الأقدار مدعاة للكآبة وفي أزمة ما قبل العصر الحديث كان الابتعاد عقابا مرعبا بصفة خاصة لأنه لم يكن يعني فقط أعواما يعيشها الإنسان تائها بدون هدف، بعيدا عن الأسرة وعن الأماكن المألوفة بل يعني أيضا أن يكون بمنبوذ دائم لا يشعر كأنه بين أهله وخلانه لا يتفق البتة مع محيطه لا يتعزى عن الماضي، لا يذيقه الحاضر والمستقبل إلا طعم المرارة"<sup>3</sup>، ذلك أنه في بداية الأمر كان الابتعاد كعقاب لمدة طويلة فيصبح غريبا عن المكان الذي يعيش فيه يصعب عليه التأقلم مع الوضع، هنا العيش يكون دون التخلص من الماضي والذكريات في نهاية الأمر يجد نفسه أمام حتمية مواجهة مصيره.

1 عبد الحق الكتاني: معجم اللغة العربية (المغني)، ص 509-510.

2 ابن منظور: لسان العرب، ص 392.

3 محمد الشحات: سرديات المنفى الرواية العربية بعد عام 1967، أزمة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006، ص 09.

المنفى في حقيقة الأمر " بحث عن الهوية الضائعة إثر فقدان الوطن وتمزق الروابط التي تشكل عناصر كينونته وتحدد طبيعة علاقته بالوجود"<sup>1</sup>، إذا اغترب الفرد تشتت هويته ليصبح الفرد في جو من اللا توافق وغربة للذات فهو غربة فرضت على الإنسان لا يمكن الخلاص منها، فالمنفى مقتلع من جذوره وتربته وماضيه"<sup>2</sup>، هذا رأي ادوارد سعيد الذي يقر لنا أن المنفى يسلب من الفرد تاريخه انتمائه وجذوره ليبقى متعلقا بالماضي.

هذا الإبعاد ينشئ القلق والاضطراب، وفقا له المنفى هو " انفصام وإقصاء قسري إنه الشرخ"<sup>3</sup> المفروض الذي لا التئام له بين كائن بشري ومكانه الأصلي بين الذات وموطنها الحقيقي"<sup>4</sup> بمعنى آخر أن الفرد يعيش التشتت، التهميش، الحرمان يحمل بذلك تجربة قاسية تخلق الحنين إلى الوطن.

نجد الناقد الأسترالي " بيل أشكر وفت" وزملائه تحدثوا عن النفي في كتاباتهم " المفاهيم الأساسية لدراسات ما بعد الاستعمار" على أنه " يقابل فكرة الانفصال والابتعاد عن الوطن الأم أو عن الأصل الثقافي"<sup>5</sup>، أي النفي يقابل الاقتلاع من الوطن والابتعاد عنه.

النفي «حالة دائمة من الغربة والابتعاد والإقامة في الهامش، هجرة مستمرة لا يمكن عكسها تولد شعورا متواصلًا بالانشقاق عن السياق والحنين الدائم إلى ماضٍ وأرضٍ وثقافة لم تعد كلها موجودة في المنفى"<sup>6</sup>، يحتاج إلى التأقلم مع الأوضاع مع ضرورة الرجوع والانتماء إلى أرضه. إذا المنفى من " المقولات الأشد قهرا في فرض جغرافية الترحال لكنها لا تتوقف عند هذا الحد بل تتعداه إلى البعد النفسي وما له من أثر عميق في شرخ الذات عن نفسها وعن العالم

1 بوشوشة بن جمعة: جدلية الوطن والمنفى وذاكرة الرهانات الخاسرة في رواية شرفات بعد الشمال، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، المعهد العالي للغات، العدد 05، 2005، ص 190.

2 حلیم بركات: غربة الكاتب العربي، دار الساقى، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص275.

3 الشرخ: الجرح.

4 بثينة نصيرة: المنفى بعيون فلسطينية، مفهوم المنفى في فكر ادوارد سعيد، مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية، المركز الجامعي، الجزائر، بركة، مج6، ع2، 2021، ص 46.

5 فخرى صالح: أدب المنفى والتجربة الفلسطينية، مجلة العربي، سبتمبر 2009، بتاريخ 2024/03/20، الساعة 14:30.

6 المرجع نفسه.

المحيط وهو عالم غير قادر ولا مستقر<sup>1</sup>، يمس الحالة النفسية للأفراد ليصبح الفرد في رثاء لنفسه والتحسر في المنفى بعد أن كان في حالة من الانتماء والاستقرار، يعيش بذلك صراعات الذات والهوية.

يقصي النفي الأفراد من أوطانهم سواء عن طريق التهجير والإبعاد أو عن طريق اغترابهم داخل الوطن ليعيش الفرد حالة الصراع مع ذاته ومحيطه.

### ج- المنفى بين القسرية والطوعية:

إن النفي نوعان نفي قسري ونفي طوعي، " الحالة الأولى يطرد المنفي من بلده بقرار سياسي من السلطة"<sup>2</sup> يكون ملزماً بالخروج من بلده وفق قرار إما مدة معينة أو طوال حياته لأسباب سياسية أو بسبب الوضع الأمني للبلاد، أما في حالة النفي الطوعي " ينعزل الكاتب داخل البلد، أسمى هذا النفي الداخلي أو يهاجر هرباً من الاضطهاد والأوضاع الصعبة التي لا يتمكن من التغلب عليها"<sup>3</sup>، النفي الداخلي يعيش في عزلة عن مجتمعه دون الهجرة إلى الخارج أو يسافر إلى بلاد أخرى بإرادته بحثاً عن الظروف المعيشية الجيدة.

إن النفي ليس فقط اقتلاع الفرد من وطنه وإنما هو زعزعة نفسيته، ثقافته وهويته لذلك نجد الأعمال الروائية في هذا الموضوع تجسد الواقع والمعاناة.

### تغير دلالات المنفى:

إن أدب المنفى<sup>4</sup> في الدراسات الحديثة والمعاصرة يتطلب الإلمام بجميع المصطلحات والمفاهيم التي وظفها الروائيون في أعمالهم، كل روائي يستعمل مصطلحاً معيناً نجد مصطلح الاغتراب، الهجرة وهي عملية " الانتقال أو تحول لفرد أو الجماعة من منطقة اعتادوا الإقامة فيها إلى منطقة أخرى تتم هذه العملية بإرادة الفرد أو الجماعة أو بغير إرادتهم وإنما إلى ذلك

1 فيصل حصيد، عبد القادر نوبوة: ارتياب الكتابة في حتمية المنفى وسردية الانتماء، ادوارد سعيد في خارج المكان، كلية الآداب

واللغات، جامعة عباس لغرور، خنشلة، العدد 17، جوان 2015، ص 18.

2 حليم بركات: غربة الكاتب العربي، ص 262.

3 المرجع نفسه، ص 262.

4 أدب المنفى: الدراسات التي تكثف لغة الأدباء قصد إثبات هويتهم ووجودهم، يؤكدون أن الاغتراب ليس عائقاً لإبراز حضورهم وتوطيد هويتهم.

قسرا أو لهدف خطط المجتمع"<sup>1</sup>، هذه التوظيفات وتعدد الدلالات تحمل تيمات النأي عن الوطن، الاقتلاع، التهجير، الغربة، التشريد، العزل، الإبعاد، الطرد، الارتحال و النكران، بهذا يطرح الروائي عمله على أن النفي والاغتراب أو غيرهما قضية اجتماعية سياسية تمس الفرد والجماعة.

#### د- حضوره في الأعمال الروائية العربية الحديثة:

إن حضور أدب المنفى في عصرنا الحديث طاغ في الأعمال الروائية يضج بحمولات نفسية ومشاعر وجدانية نتيجة فقدان الخصوصية وخلق جو القلق والاضطراب النفسي كان الحل الأمثل للتعبير عن هذه المعاناة وكشف جملة الصراعات الاجتماعية الوجودية السياسية وتشنت هويتهم هو اللجوء إلى كتابات روائية تحمل في طياتها معاني الاغتراب، الهجرة، الرحيل والمنفى.

لا يكتمل الحديث عن رواية المنفى إلا من خلال تسليط الضوء على الأعمال الروائية العربية الحديثة وتجارب المنفى، كل حسب تجاربه ووجهة نظره الأدبية النقدية التي عرفت صراعات آلام الغربة، في الرواية نجد " نصوصا مثلت قصة العائد المغترب كما في رواية الحي اللاتيني 1953 للكاتب سهيل إدريس عندما يعود بطلها في ختامها إلى بلاده"<sup>2</sup> هي رواية تروي معاناة شاب يبحث ذاته بشتى الأشكال في فرنسا، نجد أيضا رواية " موسم الهجرة إلى الشمال 1966 للكاتب السوداني الطيب صالح"، عالج فيها عودة البطل بعد اغتراب دام لسنوات والصراع القائم في الشرق والغرب " صوره الطيب صالح ببراعة كشخص لا منتمي بلا جذور قبلية أو عائلية كما هو الحال في المجتمعات الشرقية التقليدية"<sup>3</sup>.

1 سعد الكراوي: محاضرة الهجرة 18، علم اجتماع المكان، ص 01.

2 عبد العالي بوطيب وآخرون: الرواية العربية في المنفى، تح: نجم عبد الله كاظم، دار كتارا للنشر، ط1، 2020، ص 83.

3 شريف مراد: موسم الهجرة إلى الشمال وسؤال الهوية عند الطيب صالح،

<https://www.aljazeera.net/midan/intellect/literature/2017/1/17/%D8%B3%D8%A4%D8%A7%D9%84-%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D8%B9%D9%86%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B7%D9%8A%D8%A8-%D8%B5%D8%A7%D9%84%D8%AD> ، بتاريخ

المتتبع لأدب المنفى وتجاربه يقر بمدى التنوع والحيوية المتغلغلة في نصوص القضية الفلسطينية ليسرد وقائع النزاع المرير، استرجاع الماضي وحضور ثنائيات الأنا والآخر المركز والهامش<sup>1</sup> والتشظي والالتئام لتنتقل الذات من التمركز إلى الانفتاح، من حالة رفض النفي إلى محاولة التأقلم مع الآخر هذا ما جسده جمال ناجي في عمله الروائي الموسوم «برغبات ذلك الخريف» تتبع فيها حياة عائلة فلسطينية اقتلعت من بيئتها تشردت في المنافى وتناقلت في العالم الواسع.

أما سليم البيك في رواية " تذكرتان إلى صفورية" تناول فيها إشكالية الفلسطيني من خلال غربته حيث يقول: " لم يشعر مرة بالانتماء لا في دبي ولا في سوريا ولا في فرنسا التي هاجر إليها أخيرا"<sup>2</sup>، دلالة على أن تجربة المنفى معقدة قاسية جدا بالنسبة إليه.

يمكننا القول إن أدب المنفى كان ولا زال ملاذا للروائيين لتأكيد الرجوع والانتماء وتتبع مسار الذات وما تعانیه من آلام المنفى بعيدا عن أوطانهم جراء محاولة اقتلاع الجذور ولدت في نفوسهم الرغبة في الكتابة بوضوح، على اختلاف التجارب وتعددتها يبقى المنفى ظاهرة عالمية تتحول في الأخير من تجربة إلى وعي.

### 03- المنفى وتشكلات الاغتراب:

تعتبر ظاهرة الاغتراب من الظواهر التي يعاني منها الفرد داخل المحيط الذي يعيش فيه من أكثر المصطلحات تداولها عالجها الكتاب والنقاد وغيرهم، يحمل معاني ودلالات مرتبطة بالوجود الإنساني.

#### أ- لغة:

ترد لفظة الاغتراب في المعاجم العربية لها تقريبا نفس المعاني نجد في لسان العرب لابن منظور أن الاغتراب هو " الذهاب والتتحي عن الناس وقد غرب يغرب غربا وغرب أغرب

1 المركز والهامش: من الثنائيات التي أثار جدلا بين النقاد، في مجالات عديدة كالسياسة، الاقتصاد، الاجتماع، الأدب، العلاقة بين هذه الثنائية علاقة تنافر وصراع.

2 سليم البيك: رواية تذكرتان إلى صفورية، دار الساقي، 2018، ص 240.

والغربة والغرب: النوى والبعد قد تغرب ويقال: غرب في الأرض، أغرب إذا أمعن فيها<sup>1</sup> أي انعزال ذات الفرد بأفكاره وعن الآخر والشعور بالانتماء.

كما نجد في " معجم العين" معنى غرب، غربا إذا ذهب وغاب وبَعَدَ فهو غارب وهي غاربة وغُرِبٌ، غروبا بنفس المعنى، يقال غربت شمس اليوم إذا غابت ويكون بمعنى صار غربيا لا يفهم، ويكون فعل غرب غرابة إذا لم يكن معتادا أو معروفا فهو غريب وجمع غرباء وغربيات<sup>2</sup> فهو شعور الفرد بالبعد عن وطنه وانفصاله عن ذاته، شعوره بعدم الانتماء وعدم القدرة على التأقلم مع الآخرين.

من الأسباب التي تؤدي إلى اغتراب الفرد و ضياعه نجد " الصراع بين الدوافع والضوابط وبين المعايير والقيم الأخلاقية والصراع الثقافي بين الأجيال فهذه الصراعات تؤدي إلى التوتر الانفعالي والقلق، حيث تقل الفرصة لتحقيق دوافع وإشباع حاجيات الفرد كما في حالة الحرمان ونزوح الأفراد إلى مناطق أخرى من أجل كسب لقمة العيش، حيث تسود الاضطرابات في الأسرة والمدرسة والمجتمع الذي يعيش فيه إضافة إلى ضعف الوازع الديني والأخلاقي مما يؤدي إلى عجز الفرد عن التأثير في المجال السياسي وفساد الطبقة الحاكمة وما تحويه من ظلم وعنصرية والتطور الحضاري وعدم قدرة الفرد على التوافق معه<sup>3</sup> أي أن صراع القيم داخل الوطن الواحد أو خارجه يؤدي إلى اغتراب الأفراد و الشعور بالاضطراب من شأنه تغريب الذات.

#### ب- اصطلاحا:

يعد الاغتراب " ظاهرة إنسانية وجدت في مختلف أنماط الحياة الاجتماعية وقد يعني الانفصال وعدم الانتماء، فهو وعي الفرد بالصراع القائم بين ذاته والبيئة المحيطة بصورة تتجسد في الشعور بعد الانتماء والسخط والقلق<sup>4</sup>، هو شعور الفرد بحالة من التوتر الانقسام،

1 أحمد علي الفلاحي: الاغتراب في الشعر العربي، دراسة اجتماعية نفسية، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2013، ص 12.

2 عبد الحق الكتاني: معجم اللغة العربية (المغني)، ص 356.

3 بكار فتحي: الاغتراب السياسي وأثره على المشاركة السياسية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة سعيدة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، 2012/2013، ص 35 - 36.

4 أحمد علي الفلاحي: الاغتراب في الشعر العربي، ص 24.

الضياع تجعله غريبا عن مجتمعه وذاته ما يؤدي به إلى العزلة والانهيال يدل أيضا على الانفصال والانقسام في ذات الفرد.

يعد "الاغتراب حالة نفسية اجتماعية تسيطر على الفرد فتجعله غريبا وبعيدا عن واقعه الاجتماعي وهو في الوقت نفسه تعبير عن توتر نفسي نتيجة شعور الفرد أنه غريبا عن وسطه وغريبا عن ذاته"<sup>1</sup>، المقصود بذلك سيطرة المجتمع على الفرد وخلق حالة من الاكتئاب والشعور بعدم الأمان في بلد آخر.

### ج- أنواع الاغتراب:

**الاغتراب الديني:** هو الانفصال عن الذات الإلهية واستخدام سلطة الدين كوسيلة للسيطرة أين يفقد الفرد القدرة على اتخاذ المبادرة والقيادة والعمل على استشراق المستقبل ويستلم بذلك لمشيئته وهو ما يعطل إبداعه"<sup>2</sup>، معنى ذلك الابتعاد عن الدين نتيجة إتباع الفرد لشهوات الدنيا وعدم التوافق مع السلطة الدينية.

**الاغتراب الاجتماعي:** هو انعزال الفرد عن مجتمعه بحيث لا يتوافق معهم ما يؤدي إلى عدم التأقلم مع الآخرين، شعوره بالعزلة والرفض ينتج عنه نقص المودة بينهم وانتشار غياب العدالة الاجتماعية.

**الاغتراب السياسي:** يقصد به شعور الفرد أنه ليس جزءا من العملية السياسية أي أنه بعيد عن السلطة السياسية هذا ما يجعله يتخذ أساليب في تحليله للاغتراب"<sup>3</sup>، أي الانفصال عن النظام السياسي، فالفرد ليست لديه القدرة على إصدار قرارات سياسية مصيرية يرفض جميع المعايير السياسية التي فرضتها السلطة عليه مما يبث فيه عدم الثقة.

**الاغتراب الثقافي:** هو انفصال الفرد عن ثقافة مجتمعه ورفضها " يحدث ذلك نتيجة لتناقض قدرات الأفراد مع المعايير الثقافية مما يؤدي إلى تغييرها بل تجاوزها لأنها لا تتماشى وثقافتهم"<sup>4</sup>.

1 المرجع السابق، ص 13.

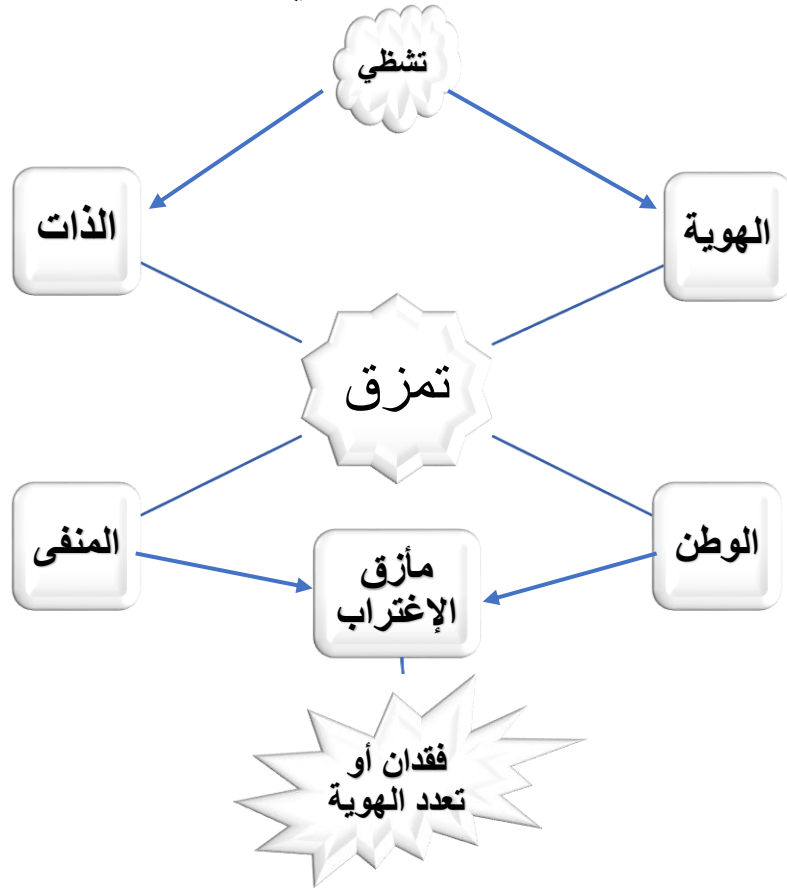
2 حلیم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية، ص 126.

3 المرجع نفسه، ص 32.

4 المرجع نفسه، ص 126.

الاغتراب النفسي: حالة نفسية يشعر الإنسان انفصاله عن الآخرين وعدم الانسجام معهم، وعدم القدرة على التكيف الاجتماعي مما يضطرهم إلى الانعزال أي عدم قدرة الفرد على التواصل والتفاهم مع ذاته يؤدي إلى شعوره بالقلق وفقدان الثقة بنفسه إضافة إلى تعرض حالته النفسية للانهيار والضعف.

بهذا يمكننا القول إن هناك تداخل بين مفهومي التشظي والهوية وارتباط كلاهما بالذات الفردية والجماعية كما أن للهوية أبعاد نفسية فلسفية واجتماعية حيث تقوم على مقومات أساسية تنشط عندما تشعر الذات بعدم الانتماء في الوطن والمنفى.



# الفصل الثاني

تمثلات تشظي الهوية بين الوطن والمنفى في رواية (طفولتي حتى الآن) لإبراهيم نصر الله:

## أولاً: التعريف بالروائي إبراهيم نصر الله:

يعد إبراهيم نصر الله كاتباً وشاعراً وأديباً فلسطينياً ولد بعمان في 02 ديسمبر 1954 من قرية بريج بالقرب من القدس، ولد من أبوين فلسطينيين اقتلعا من أرضهما، من أشهر الكتاب والروائيين العرب تأثيراً وشهرة في العصر الحديث، درس إبراهيم نصر الله في مدارس وكالة الغوث في مخيم الوحدات، حصل على دبلوم تربية وعلم النفس من مركز تدريب عمان لإعداد المعلمين عام 1976، غادر إلى السعودية وعمل مدرسا لمدة عامين، واشتغل صحافياً في الأردن، كما عمل في مؤسسة عبد الحميد شومان كمستشار ثقافي، عضو رابطة الكتاب الأردنيين واتحاد العام للأدباء والكتاب العرب<sup>1</sup>.

من أهم الجوائز التي تحصل عليها إبراهيم نصر الله هي:

- جائزة كتارا 2016 عن أرواح كلمنجارو.

- الجائزة العالمية للرواية العربية 2018 عن رواية حرب الكلب الثانية.

- جائزة رابطة الكتاب الأردنيين ثلاث مرات.

- جائزة القدس للثقافة والإبداع في فلسطين.

- جائزة تيسير سبول للرواية 1994.

من أهم أعماله الروائية ما يلي:

- قناديل ملك الجليل 2012.

- زمن الخيول البيضاء 2007.

- أعراس آمنة 2004.

- تحت شمس الضحى 2004.

من أعماله الشعرية ما يلي:

- عواصف القلب 1989.

[https://mawdoo3.com/%D8%A5%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D9%87%D9%8A%D9%85\\_%D9%861](https://mawdoo3.com/%D8%A5%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D9%87%D9%8A%D9%85_%D9%861)

بتاريخ : 2024/05/18، الساعة: 13: 30. [https://mawdoo3.com/%D8%B5%D8%B1\\_%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87](https://mawdoo3.com/%D8%B5%D8%B1_%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87)

- فضيحة الثعلب 1993.

- شرفات الخريف 1996.

- باسم الأم والابن 1999.

إبراهيم نصر الله مثال حي للإبداع والتميز في الأدب العربي الحديث، حيث تعكس أعماله

تجربته الشخصية حبه لوطنه فلسطين.



## ثانياً: ملخص الرواية:

رواية طفولتي حتى الآن لإبراهيم نصر الله هي رواية حب فلسطيني تحتضن سيرة صاحبها وسيرة المكان الغائب فلسطين، استحضار الروائي لطفولته جعله يستحضر تاريخاً بأكمله موثقاً فيه همومه وأحلامه إلى جانب رصده لمعاناة الشعب الفلسطيني خلال سنوات عديدة ومآسي نكبته بما فيه من تهجير، تشريد، تدمير، قتل، تعذيب، هدم، انكسارات أثناء نضالهم ومواجهتهم للمحتل الغاضب في حين يعبر عن واقع المخيمات الفلسطينية، همومهم، آمالهم، تطلعاتهم داخل الوطن وخارجه لبيان المصير المجهول للفلسطيني، استهل روايته بالحديث عن هوسه الكبير بالسفر بالطائرات المطار، كمحاولة لمواجهة الواقع المؤلم والمرير إثر الحرب، كما عمل على سرد أحداث تاريخية ونقل بعض مشاهد النكبة المؤثرة في نفوس القارئ ليؤكد التمسك بالأمل والنضال والكفاح ضد العدو الصهيوني، ليدخل صراع المرأة الفلسطينية حيز طفولته كونها رمز ومثال للمرأة المناضلة، تبين من خلالها الدور الذي تبرزه الشخصيات النسوية داخل رواية طفولتي حتى الآن، نجد عائشة أم إبراهيم نصر الله حريصة عليه أشد الحرص مدعمة إياه عن طريق إشرافها على تعليمه وإعطاء نصائح له، أحسنت رعايته، أنجبت له فدوى كانت الدافع في نجاحه وتحقيقه لعمله الفني الإبداعي وإيصاله إلى مرتبة الشاعر الكاتب الأديب الرسام وسط مجتمعه الفلسطيني، إضافة إلى شخصية نور التي تعد صديقة إبراهيم نصر الله ورفيقة درب طفولته، إحدى الفدائيات في سبيل تحرير وطنها وشعبها من مأزق الاغتراب، دعمته وحفزته على التفوق الدراسي، شجعتة على الكتابة واقتناء دفاتر له، لتندفق مشاعر وعاطفة الحب لدى الطرفين شغل عقول الجميع فكانت النهاية مفتوحة لم نستطع معرفة حقيقة تلك المشاعر الجياشة.

لن تكتمل طفولة إبراهيم نصر الله إلا بحضور أصدقائه وأفراد عائلته بأكملها ليعود الفضل لهم في تحقيق عمله الروائي، طفولة إبراهيم نصر الله كانت ولا زالت مستمرة إلى حد الآن جعلت المتلقي متشوقاً ومتحمساً لمعرفة المزيد من أحداث الرواية.

عرفت الرواية الفلسطينية تطوراً عبر مراحل نشأتها، ليكون التشظي أهم السمات التي ميزت النصوص الروائية حيث أراد الروائيون تجسيد الذات المشتتة في نصوصهم الإبداعية لتنتج لنا رواية تحمل قيما جمالية حاملة في طياتها التشظي داخل السرد الروائي، تظهر هذا في رواية طفولتي حتى الآن التي نحن بصدد تسليط الضوء على تجليات التشظي داخلها.

**ثالثاً: صورة التشتت الإنساني والتمزق الذاتي في عنوان الرواية (طفولتي حتى الآن):**

يعتبر العنوان البوابة الرئيسية للعمل الإبداعي، يتيح للقارئ فرصة تكوين أفكار لها علاقة بالمتن الروائي قبل استنطاقه حيث يعكس دلالات ومعاني يريد صاحبها إيصالها، يجذب انتباه القارئ فهو ذا "أبعاد دلالية وأخرى رمزية تغري الباحث بتتبع دلالاته ومحاولة فك شيفرته الرامزة"<sup>1</sup>، أي صياغة العنوان بصورة مباشر أو بصورة رمزية إيحائية لتشغيل الأذهان، يعد أيضاً إستراتيجية الكاتب في استقطاب القراء للولوج إلى النص دالاً على موضوعه مشوقاً لطرح التوقعات والتساؤلات حول القضية المطروحة علاوة على ذلك هو همزة وصل بين المبدع والمتلقي.

اختار إبراهيم نصر الله عنوان «طفولتي حتى الآن» باعتبار الطفولة مرحلة يعبرها الإنسان إما يتخطاها أو يبقى عالقا فيها بتفاصيلها السابقة، يجتازها الفرد في جو من السلام والاطمئنان لها وقع خاص في النفس لأنها تربط الإنسان بنفسه وعائلته، هي مرحلة تكوين شخصية الفرد ورسم حدودها، بقدراته وتعليمه، دلالة على البراءة لأن طفولته لم تكن مثل الطفولة العادية التي تتيح للطفل فرصة العيش في حرية وراحة، طفولة الروائي تجسيد لما يعيشه أطفال فلسطين ومعاناتهم من الحرمان والإبادة الجماعية<sup>2</sup>، الاستيقاظ على القصف والتدمير، الطفولة بالنسبة إليه مازالت مستمرة دليل هذا الإحساس بنفي النضج على ذات الروائي العالقة في صغره، وصل لعمر السبعين وهو يحلم بطفولته.

1 بسام موسى قطوس: سيمياء العنوان، مكتبة كتانة، عمان، الأردن، ط1، 2001، ص 33.

2 الإبادة الجماعية: التدمير المعتمد لمجموعة من الناس بسبب عرقهم أو جنسيتهم أو دينهم أو أصلهم تمت صياغة هذا المصطلح في الأربعينيات من القرن العشرين بواسطة المحامي البولندي المولد رافئيل ليمكن.

سلط الضوء على حياة الطفل الذي ولد بالمخيم في ظل الهموم والدماء المسفوكة فوق أرضهم والنفي منها.

يستدعي إبراهيم نصر الله كل طفل فينا في فصول ستة فيها تطوره وإدراكه في كل مرحلة من طفولته، فعلاقته بوطنه بشعره وكتاباته بدأت منها من المقاطع الدالة على طفولة الروائي قوله: «ما شجعنا على ذلك مرتين أو ثلاثاً في كل أسبوع، إنه يستخدم أرض مطارنا إلا أنه كان متفهما دائماً لحركات الطائرات فيه، ففي كل مرة بدوننا فيها على وشك القيام برحلة، نهض وابتعد عن المدرج»<sup>1</sup>، يسترجع ذكريات الطفولة من خلال حديثه عن المطار والطائرات لمواجهة الواقع الصعب لأطفال المخيمات ومدى تأقلمهم مع الوضع برسم أحلام وطموحات لتجاوز الألم في الوطن وخارجه كما تحدث أيضاً عن الطيور التي تحمل معاني الرغبة في التحرر والحرية.

أيضاً في قوله: «نستमित لنبدو أكبر ونغضب حينما يخطئ شخصاً ما بعمرنا فنصححه بغضب لأنه نسي سنة أو اثنتين ، وربما نقاطه إذا نسي سنوات أكبر، هوس التخفف من الطفولة يسيطر على كل شيء فينا»<sup>2</sup>، لأن الطفولة في فلسطين ليست للعب والمتعة بل هي القهر، الحصار، الحاجة ومعاناتهم من الآثار النفسية السلبية بسبب وحشية العدو وقهر أحلامه البريئة ، هي بذلك «طفولة مصابة بأكثر من جرح ... لا تخلو من الشيء الذي ربما يكون أقوى من الحزن، وأقوى من الفرح، ذلك الشيء الذي نسميه قوة الحياة»<sup>3</sup>، هدمت بيوتهم ومدارسهم، أطفال في الشوارع باحثون عن لقمة العيش، الزمن لا يكفلهم بالنمو كباقي الأطفال إنما يتجاوزون أعمارهم لتبقى ذكريات راسخة لن تغادرهم، يولدون رجالاً ليعيشوا أحراراً.

هذه الأزمات فرضت على إبراهيم العمل في سن مبكر يظهر ذلك جلياً قوله «في الطفولة عملت بائعاً متجولاً لكل ما طاب طعمه وقل سعره في السوق الخضار، حمالاً في مقهى في

1 إبراهيم نصر الله: طفولتي حتى الآن، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار إقراء للنشر، الإمارات العربية المتحدة، السعودية، ط1،

2022، ص 18.

2 المصدر نفسه، ص 409.

3 المصدر نفسه، ص 375.

شركات توريد الخضار... أقصى تجارب طفولتي التي تحدثت عنها طويلاً»<sup>1</sup>، ما يبرر الطفولة القاسية له ليعكس لنا واقع الطفل الذي تحول إلى رجل مسؤول لإعانة عائلته، في الوقت الذي كان أقرانه يستمتعون بالحياة، أما بخصوص التواصل بينه وبين نور عبر رسائل يتحدث فيها عن كل مرحلة من طفولته في فصول الرواية هي الأخرى تسترجع ما عاشه معا، يحضر هذا في قوله: «لقد أعدتني طفلة تتقرب مسار أحداث عشتها ومنحتني حياة أخرى هي حياتي التي لو عشتها كما عشتها هنا...»<sup>2</sup> فكتاباته عن الطفولة وذكرياته معها ومع أصدقائه جعل منها أسيرة حياة مرت بها فيما مضى، انتابها شعور الولادة من جديد على الرغم من النكبات، التهجير، الدمار القصف واللجوء.

ربط طفولته بالنضج لأنها مرحلة حياة كما سماها، هي اللبنة الأساسية ونقطة انطلاقه لما هو عليه اليوم، الدليل على ذلك عبارة " قمة النضج أن نزل أطفالاً لأن الطفولة قمة الحياة، ذروتها لا بدايتها الأولى وحسب، غير ذلك لا شيء إلا الصداً... تجعل الطفولة بما تعنيه في حياتك هي الحياة من المرحلة الجنينية"<sup>3</sup>، فهي أمر مقدس بالنسبة إليه لا تنتهي رغم استمرار مراحل حياته.

جسدت هذه الرواية الطفولة المستمرة والذات التي لا زالت بحاجة إلى الأمل وذاكرة الماضي، لمواجهة الحياة، يطمح في العودة إليها «هناك دائماً طمع بطفولة أخرى طمع في ألا تنتهي»<sup>4</sup>، لأنه كلما كتب لنور انهالت عليه سراب الذكريات يتذكر شريط طفولته.

حاول إبراهيم نصر الله ربط العنوان بالرواية التي احتوت سيرته وطفولته ليقر من خلال العنوان أنه بصدد التعمق وتصوير طفولته المستمرة حتى الآن، قام بتصغير عمله الروائي الضخم بعنوان «طفولتي حتى الآن» الممثلة لصورة الذات المشتتة.

1 المصدر السابق، ص 420.

2 المصدر نفسه، ص 505.

3 المصدر نفسه، ص 375.

4 المصدر نفسه، ص 487.

رابعاً: مشاهد من النكبة: بين تفكك الحياة وتبعثر الذات:

عالجت رواية طفولتي حتى الآن نكبة الشعب الفلسطيني وما خلفته من خسائر مادية وبشرية بتصوير تفاصيل المعاناة، سرد قصة شعب فقد أرضه ودور المقاومة في محاولة استرجاع الحق الشرعي للشعب، من استحضار للتاريخ الموثق بالعثرات، الهموم الانتصارات، الجراح القديمة والصور الأليمة مؤرخاً للقضية الفلسطينية ونتائجها.

تعرض الرواية لحظات من المعاناة كان سببها العطش الشديد تجلى هذا في قوله: " عثرنا على حبل وأنزلنا بعض الشباب لرفع الجثث التي في الماء لم نعرف إن كنا في تلك اللحظات السوداء، عطشى أم أمواتاً انتشرت الجثث حول البئر ونحن نبكي فجأة رأينا امرأة تتحني ودموعها تتحني معها وتضع الثياب المبتلة لأحد الغرقى في فمها فتمتص الماء الذي فيه "1 يعبر هذا المشهد عن حالة العجز وعدم توفر أبسط متطلبات الحياة من خلال رمي أنفسهم داخل البئر للبحث عن الماء، أدى بهم هذا إلى الخروج من هناك غرقى وجثث هامدة، ما زرع في نفوسهم الخوف والهلع.

في مشهد آخر من وحشية العدو الصهيوني تجاه الشعب الفلسطيني وما خلفه من دهشة بإرسال طائرات حربية من الشرق إلى الغرب " ما هي إلا لحظات حتى سمعنا صوت انفجارات ورأينا دخاناً يتصاعد من مطار ماركا<sup>2</sup> حيث المسافة الهوائية التي تفصلنا عنه قصيرة كانت تلك صدمة لا تحتمل لكل من رأى المشهد ... في الإذاعات كان الأمر مختلفاً، المذيعون كل عشر دقائق يقطعون بث الأغنيات الحماسية ليزفوا للمستمعين أخبار إسقاط عشرات الطائرات الإسرائيلية وتدمير مئات الدبابات "3، جاء رد فعل الفلسطينيين بتدمير هذه الطائرات وإسقاطها، الفرار إلى أماكن آمنة لحماية أنفسهم وعائلاتهم في جو من الانكسار والحسرة داخل ديارهم، بهذا عمل المستعمر على بث صور الرعب من خلال قوله: " رعب، عشنا الرعب، أكثر من

1 إبراهيم نصر الله: طفولتي حتى الآن، ص 35 - 36.

2 مطار ماركا: مطار يقع في إحدى مناطق عمان الشرقي أول مطار تم بناؤه في الأردن كان سابقاً مقر ومركز لعمليات شركة الملكية الأردنية.

3 المصدر نفسه، ص 61.

الرعب إلى أن نقلونا إلى عمان أيام قاسية الله لا يعيدها"<sup>1</sup>، كانت هذه أيام قهر للذوات الباحثة عن كرامتها وحريتها.

من أساليب الاستهداف الإسرائيلي لهذا المجتمع تعريض الأهالي للتشريد وتحطيم الأماكن التي كانوا فيها، شردوا الشعب، العائلة وحتى الأسرة " قبل النكبة، قبل تشدها وتحول بيوتنا إلى خيام وبحرنا إلى قنوات وبرك مبعثرة وأرجلنا إلى طين وأيدينا إلى مجاديف<sup>2</sup> في الطين"<sup>3</sup>، إبراهيم نصر الله يصف لنا مشاهد النكبة حتى وإن كانت صغيرة وتخاذل الإخوة العرب، في كل مرة يصف هذه المشاهد بتحسر وغضب فالتهجير والانتقال من البيوت إلى الخيم، من مكان إلى آخر كل هذا بسبب الأعمال الوحشية لإقامة وطن لليهود في فلسطين.

من الصعب الخوض في حدث تاريخي إلا لمن عاش التجربة القاسية إذ أن الأحداث التاريخية الراهنة أظهرت حقيقة العدو.

تحدث عن نكبة فلسطين وما خلفته من آلام ونتائج " عام النكبة 1948 حين هاجمت الكتائب الصهيونية قرية جدتي وجدي قرب مدينة الرملة<sup>4</sup> " من تعرضهم للهجوم، تخويف الأطفال بإجبارهم على التنقل كما حدث مع خاله صغيراً رافضاً الذهاب معهم " أنزلوه غير قادرين أن يعرفوا ما يفعلون، فأن يجبر على الذهاب معهم أمر خطير قد يواصل بكاءه ويكون سبباً في انكشافهم وهكذا يقتلون جميعاً"<sup>6</sup>، حيث فقد أغلبية الشعب دياره، أراضيه وغيرها من ممتلكاتهم دون توقعات مسبقة، عانى مرارة الفقد، تركت هذه النكبة جرحاً لا شفاء له.

كانت فلسطين قبل النكبة كغيرها من الأمم في الاحتقالات أما بعدها تحولت أفراحهم إلى أحزان " في الماضي أي قبل حرب حزيران، كان الأمر مختلفاً إذ كانت النسوة يطلقن الزغاريد

1 المصدر السابق، ص 68.

2 مجاديف: مفرد مجداف وهو خشبة في رأسها لوح عريض تدفع به السفينة.

3 المصدر نفسه، ص 107.

4 الرملة: أكبر وأقدم مدن فلسطين سميت نسبة إلى الرمال التي كانت تحيطها تأسست سنة 716 على يد سليمان بن عبد الملك.

5 المصدر نفسه، ص 132.

6 المصدر نفسه، ص 132.

فراحاً لكن الهزيمة التي سكنت البيوت واحتلت مساحة واسعة فيها... أعراس كبيوت عزاء هذا يذكرني الآن كيف تحول عرس أمي وأبي إلى مأتم بعد النكبة بثلاث سنوات<sup>1</sup> هناك استرجاع في هذا المقطع لذكريات أول عرس دمر بسبب الهزيمة والحزن الذي اقتحم منازلهم.

رغم ما حل بهم من الأزمات لم يفقدوا الأمل في الدفاع عن وطنهم وتحقيق النصر لمحاربة العدو من خلال التخطيط لعمليات فدائية<sup>2</sup> " العملية تحتاج إلى أن نعاين موقع العدو الذي سنهاجمه وعدد الجنود فيه ونوع أسلحته ثم طبيعة المنطقة، ثم نضع خطة تشمل عدد الأخوات اللواتي يشاركن والأسلحة التي نحتاجها ونوزع مهام الاقتحام والحماية وخطة الانسحاب"<sup>3</sup>، هذه العملية شاركت فيها نور وعدد من الزهراء بعد تدريب دام سنتين للقيام بردة فعل على جرائم المحتل.

بعد أن حددوا الموقع المستهدف جهزوا كل ما يلزم للمعركة " أشار القائد للموقع ووزع القوة، هجومًا وحماية، بعد دقائق اشتعلت المعركة، إطلاق نار من الجانبين، صرخات من موقع العدو تشير إلى هناك إصابات في صفوفه ثم أمر بالانسحاب لأن المعركة حققت هدفها بنجاح"<sup>4</sup>، كان هذا تنفيذًا للخطة السابقة حققوا من خلالها الانتصار، لإثبات أن الشعب متمسك بأرضه حتى النساء في هذه الحالة التزم بروح المقاومة واستعادة ما أخذ منهم بالقوة. لجأ الروائي إلى عرضه لمشاهد اندلاع الاشتباكات وتصوير المعارك والحرب التي دارت بين الفدائيين والصهاينة في قوله: " الشاب الذي كان مكلفًا بالدوشكا<sup>5</sup> أصابته رصاصة في كتفه، فصمت كل شيء سوى رصاص الجنود الإسرائيليين... هنا تم إطلاق رصاصة التنوير الثانية مع بدأ عمليات انسحاب القوتين: الهجوم والحماية فراحت قذائف الجيش الأردني تنهال

1 إبراهيم نصر الله: طفولتي حتى الآن، ص 135.

2 العمليات الفدائية: عملية تفجيرية أو انتحارية أو استشادية، هي هجوم يعتزم المهاجم وراه قتل الآخر والتسبب في ضرر كبير.

3 المصدر نفسه، ص 266 - 267.

4 المصدر نفسه، ص 268.

5 الدوشكا: سلاح رشاش سوفياتي، ثقيل مضاد للطائرات خطير قادر على مكافحة الأهداف الجوية، البرية والبحرية.

على المدافع الإسرائيلية<sup>1</sup>، هذه العمليات قادتها شخصيات فلسطينية انضمت إليها عدة دول لم تحقق النصر، عملت على بث روح المقاومة ونشر الوعي في الأوساط " تكاثرت التنظيمات الفلسطينية صرنا نشهد اشتباكات أكثر وانشاقات، بدأنا للمرة الأولى نسمع عن تنظيمات تحمل اسم فلسطين<sup>2</sup>، استجابة لرغبة الفلسطينيين للدفاع عن قضيتهم بعد أن تخلت عنهم الدول العربية الراضة للدخول المباشر أو غير المباشر مع الكيان الصهيوني.

ليستمر العدوان غير المبرر في تشريدهم وقصف مدنها، بطردهم حفاة عراة " فمع تزايد عدد الجرحى تناقصت وسائل العلاج ووسائل تأمين راحتهم، انطلقت نور إلى بيتهم وحملت أفرشة وأغطية وأواني طعام ولأن الوضع بات أصعب... بيتنا دمر لكنه لم يحترق أنقذنا بعض ما نحتاجه<sup>3</sup> أظهر هذا أزمة الغذاء والدواء الخائفة التي عاشها ولا يزال يعاني منها أهالي قطاع غزة جراء العدوان ما يهدد حياة الآلاف من البشر مع استحالة التنقل وصعوبة توفير كل الحاجيات في غياب الإنتاج والاستيراد.

صور الروائي فظاعة الجرائم التي ارتكبها العدو تلك الأيام من التعذيب الاعتقال الدمار الشامل والقتل الجماعي بقوله " اختفت أصوات القذائف والرصاص، خرج الشعب نحو الشوارع ينفقون من ظل حيا فيهم ومنهم، لم يكن هناك غير الدمار، دمار في كل مكان وسيارات تجمع الجثث، جرافات تحفر قبور جماعية<sup>4</sup> بغرض تفريغ الأرض من الشعب وإتباع استراتيجيات المجازر والقتل المتعمد " لإسرائيل تتحمل المسؤولية الكاملة عن الانتشار المتعمد للسلاح والمخدرات وأعمال القتل الإجرامية، كل يوم قتل وذبح<sup>5</sup>، مع محاولاتها لإخفاء حقيقة تلك المجازر والعزل في مختلف المدن .

1 المصدر السابق، ص 318.

2 المصدر نفسه، ص 345.

3 المصدر نفسه، ص 368.

4 المصدر نفسه، ص 371.

5 وليد القططي: جرائم القتل في فلسطين صراع الضحايا والحل الوطن،

<https://www.almayadeen.net/articles/%D8%AC%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%AA%D9%84-%D9%81%D9%80%D9%8A->

كان التهجير عاملاً مركزياً في تشتيت المجتمع الفلسطيني وإبعاد الفرد عن وطنه من تدمير للقري ، فاتخاذ قرار التهجير إما هرباً من الموت بإرادتهم أو تهجيراً قسرياً من طرف السلطات الإسرائيلية ذلك يتبين في المقطع التالي " قرروا نقلنا إلى الأغوار قلنا هناك على الأقل يوجد دفء ولا يوجد ثلوج، حملونا في سيارات كبيرة أوصلتنا إلى الغور، أنزلونا أمام مخفر أريحا<sup>1</sup> وقالوا لنا هذا مخيم "نمرة 4" هنا تستطيعون أن تنصبوا خيامكم "2، متجهين بذلك في أكثر من اتجاه من غزة وصولاً إلى الأردن مصر ،العراق على سبيل المثال تضم الأردن أكثر من أربعة ملايين لاجئ.

يعد الموت من المفاهيم المسيطرة على المشهد الفلسطيني اليوم، لأن الموت تحت نيران العدو هو انتصار استحقته هذه الأرض المقدسة، سعى الفرد للتعايش مع حتمية الموت باعتباره طريق ذو اتجاه واحد لا رجعة فيه " فمن هو الفلسطيني الذي يستطيع أن يعرف مصيره أو مصير غيره بينما يتعلق الأمر بالموت "3، هذا بيان للمصير المجهول في حيز من الشتات، التفكك، الانقسام بفعل العصابات اليهودية.

مشاهد النكبة والنكسة مطبوعة في الذاكرة الجماعية للشعب الفلسطيني بوصفها حدثاً تاريخياً استثنائياً في الوطن العربي، استعاد من خلالها الروائي ذكريات الأوضاع الكارثية بنقل الأحداث وتصوير الوقائع تصويراً صادقاً دقيقاً.

[%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86----](#)

[%D8%B5%D8%B1%D8%A7%D8%B9-](#)

[%D8%A7%D9%84%D8%B6%D8%AD%D8%A7%D9%8A%D8%A7-](#)

[%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%84-](#)

[%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B7%D9%86%D9%8A](#)، بتاريخ 06-05-2024، الساعة 22:50.

1 أريحا: مدينة فلسطين.

2 إبراهيم نصر الله: طفولتي حتى الآن، ص 67.

3 المصدر نفسه، ص 381.

## خامساً: تمظهرات صراع الذات في الرواية:

يعد صراع الذات من الصراعات التي تواجه الإنسان صراع داخلي بين رغباته وما يحتاج، وبين ما يفرضه الواقع المعاش في علاقته مع غيره حيث عاشت الذات الفلسطينية حالة التمزق، التشظي بسبب الظروف الصعبة مع العيش على أمل الحرية مقابل ذلك اليأس الذي ينهش<sup>1</sup> أجسادهم كلما طالت مدة الاحتلال.

في رواية «طفولتي حتى الآن» اتضحت لنا ملامح الصراع تمثلت في:

## 1- صراع الفلسطيني مع ذاته:

يجسد الراوي إبراهيم نصر الله شخصية إبراهيم في روايته الذي يواجه العديد من الصراعات بلغة مؤثرة في نفسية القارئ، في صراع مع ذاته الضائعة بسبب تجاربه القاسية خلال الحرب " في ذلك الضياع المطلق الذي يجد فيه الإنسان من وسيلة"<sup>2</sup>، هذا الشعور ظل يصاحبه طوال حياته في مرحلة البحث عن الهوية والانتماء وسط أزمات أدت به إلى التشرذم، ما بث فيه انعدام الأمان والاستقرار في مواجهة الصعاب والتحديات، يعيش اضطراباً يشعره بالانتماء العميق لفلسطين لكنه بعيد عنها.

جعله يعاني من الاغتراب والاضطهاد " أماننا ضاق كل امتداد ضاقت الأرض وضاقت الحياة"<sup>3</sup>، لأن الحرب تجربة مروعة تهدد الحياة والأمان بالتالي يكون الفرد في ضيق لا يسع وجوده أي أرض إلا أرضه الآمنة.

أيضا شعوره بالقلق المستمر لأن الفلسطيني استهدفت معنوياته ليكون في حرب مع نفسه، يعيش إبراهيم مشاعر الاضطراب " استيقظت مذعورا لم أكن أعرف أن أمراً كهذا يثير الرعب"<sup>4</sup> الخوف من الموت و فقدان الأحبة خلف شعور اليأس والإحباط ، أمام تحقيق أحلامه الكبيرة لكنه قادر على تحقيق الأفضل والتغلب على الاحتلال والعيش بكرامة إذا استمر كفاح الذات

1 ينهش: يمزق.

2 المصدر السابق، ص 77.

3 المصدر نفسه، ص 72.

4 المصدر نفسه، ص 99.

الفلسطينية التي عانت ولا زالت تعاني من الآثار النفسية السلبية للنكبة " كان ذلك تمرداً على كل شيء على الحزن، الشتات وسوء الحال"<sup>1</sup>، يقر بالحزن والتفكك الموجود لكن يحاول تجاهله والتغلب عليه بالتمسك .

يعرض أيضا صراع الذاكرة والنسيان حيث أن البطل يتصارع مع ذاته في رغبته على تذكر وطنه الأصلي وبين الرغبة في نسيان مآسي الماضي، ليصبح أسيراً لطفولته المستمرة ومحاولة تجاوز الواقع من خلال توظيفه في بداية الرواية للطائرات، المطار وتوظيف الطيور التي تدل على الحرية والتحرر كالنحل، الصقور والعصافير .

يتحاور مع نفسه في قوله " سخرت من نفسي ما إن وصلت إلى هذه النقطة وقلت إذا بقيت على هذا الحال فإنني أصبح مجنوناً رسمياً"<sup>2</sup>، يطرح تساؤلاً على ذاته للتعامل مع التوتر ومعالجة الصدمة لتحفيز الذات المتصارعة، هذا صراع نفسي عاشه بين الواقع المر وأحلامه للعيش بحرية في وطنه الأم.

توجد شخصيات في الرواية عانت من القهر التي طالما بحثت عن كرامتها وحريتها فشخصية «بشير» صديق الطفولة لإبراهيم عانى هو الآخر من فقدان، الاغتراب، عاش صراعات داخلية ممزوجة بالحب والخيانة والصدقة، في نهاية الأمر فقد بصره لكنه ظل يتذكر أيامه وذكرياته " عاش مكتفياً بذكرياته الخسبة"<sup>3</sup>، أما شخصية "قاسم" صديقهم الذي شاركهم أحلامهم قساوة طفولتهم وظروفهم الصعبة، أيضاً "تبيل" امتاز بالصمت الدائم وحروبه مع ذاته يقضي معظم أوقاته مع نفسه بسبب صدمته " نبيل الصامت دائماً منذ رحيل أمه"<sup>4</sup>.

أما خاله "محمود" يرمز للأمل والتفاؤل تشظت هويته نتيجة الاغتراب ما يؤثر على نفسيته وشعوره بالعزلة، أما شخصية "الأب" الشخصية الغائبة المناضلة في صراع داخلي بين التزامه بقضيته وبين حمايته لعائلته، استرجع إبراهيم ذكريات أبيه المتوفى من خلال حديث أمه عنه،

1 إبراهيم نصر الله: طفولتي حتى الآن، ص 137.

2 المصدر نفسه، ص 108.

3 المصدر نفسه، ص 495.

4 المصدر نفسه، ص 18.

كما نجد صراع الذات مع شعور الحب بالرغم من البعد ومرور السنين يصر الجد إبراهيم الحفاظ على حبه لحبيته في نهاية حزينة.

أخيراً شخصية "المصري" بحث عن هويته وشعوره بالشوق لمستقبل أفضل أيضاً زوجته "عمة" إبراهيم كمثال للصبر في غياب زوجها ووفاته في أصعب مراحل حياتها القاسية.

## 2- صراع المرأة الفلسطينية المناضلة:

تعد المرأة الفلسطينية رمزاً للكفاح والنضال من أجل الحرية تواجه تحديات وصراعات مزدوجة كونها امرأة عربية تعيش تحت سيطرة الاحتلال الصهيوني، لعبت دوراً هاماً في تثقيف المجتمع الفلسطيني وتعزيز الوعي، حققت إنجازات في مختلف المجالات، إذ تواجه بطلات رواية "طفولتي حتى الآن" العديد من العقبات لكسر قيود العادات والتقاليد لتحقيق ذاتهن.

تجسد الأم "عائشة" صورة المرأة العربية الفلسطينية التي ترمز للحب، الحنان، الأمل وكل القيم السامية داعمة ابنها "إبراهيم" في كل مراحل حياته، تحفزه على تحقيق طموحاته، تتنازل عن أحلامها لتربية أطفالها وتعليمهم " أثبتت أمي أنها القائدة لبيتنا، ظلت متمسكة بهذا المنصب"<sup>1</sup>، عاشت تجاربا قاسية في صغرها وحروباً نفسية نتيجة فقدان و الحرمان " كم كانت حروبها كثيرة " تتنابها أحياناً مشاعر الخوف، الهلع، هذا راجع إلى المأساة التي سردها الروائي في بداية الرواية فهي بذلك قيمة إنسانية عظيمة تساهم في بناء المجتمع والعائلة الفلسطينية لإبراهيم خصوصاً.

أما "نور" الشخصية التي دفعت الروائي إلى الكتابة حيث تعد مصدر إلهام له شاركته الطفولة من أحزان وأفراح، لم تكن مجرد صديقة إنما ميزها عن باقي الفتيات، شاركته أيضاً رؤيته للواقع، هي مثال المرأة المناضلة والمتقفة لديها الشغف الدائم في الدراسة، كانت في المراتب الأولى، كثيرة الاطلاع على الكتب، الروايات والشعر الذي يؤلفه "إبراهيم"، تدربت في الدورات الفدائية عامين، لتصبح إحدى الزهرات المكافحات، داعية إلى الحرية " وجدت نور

1 المصدر السابق، ص 37.

نفسها على الأرض لكنها لم تتوقف عن الهتاف: الحرية مثل ألمي"<sup>1</sup>، لا تخشى التعبير عن آرائها لأنها قوية الشخصية، شاركت في العديد من العمليات العسكرية لمحاربة العدو كل أحاديثها عن الحرب والثورة "تحدثت نور عن فلسطين وعن الفدائيين ... منفعة كأنها تحمل خبر تحرير فلسطين وعودتنا إليها"<sup>2</sup>، كانت مستهدفة في مرحلة شبابها هاجرت لكنها دعمت القضية الفلسطينية تمردت على العدو، مخلصاً لشعبها ووطنها، عانت من صراع داخلي تمثل في المشاعر الغامضة تجاه إبراهيم وتساؤلها حول من يكون بالنسبة لها " من أنت بالنسبة إلي؟ .. لن أقول لك الآن"<sup>3</sup>، دائماً ما كانت تفكر بصمت وتجعله في حيرة مع مشاعره. شعورها بالحزن في قولها " كنت خائفة طوال الوقت وكأن الحب والخوف لا يلتقيان"<sup>4</sup>، هذا دلالة على التناقض أن الحب يدفعنا إلى الاقتراب من الآخرين لكن الخوف يدفعنا إلى الابتعاد.

تنوعت صورة المرأة في الرواية ليبين الروائي الجوانب المختلفة من حياتها وتجاربها للصمود والمقاومة بجميع أشكالها ضد الاحتلال كما وضح سعيها للتعلم والتحرر من القيود بفرض ذاتها في ظل العنف والحصار، إذ لعبت دوراً هاماً باعتبارها عنصر فعال في المجتمع فهي الأم التي تربي الأجيال، الزوجة المساعدة لزوجها، الابنة المثقفة المتعلمة والمناضلة التي تدافع عن وطنها.

### 3- صراع الأنا الفلسطينية مع الآخر الصهيوني:

إن ثنائية الأنا مع الآخر من أهم الثيمات التي درسها الروائيون خصوصاً في عصرنا الحديث، في مختلف الأعمال الروائية باعتبار الأنا هي "الذات"، أما الآخر في " أبسط صورة

1 إبراهيم نصر الله: طفولتي حتى الآن، ص 75.

2 المصدر نفسه، ص 164.

3 المصدر نفسه، ص 15.

4 المصدر نفسه، ص 48.

هو مثيل أو نقيض الذات أو الأنا<sup>1</sup>، بمعنى أن الآخر يساعد الأنا وإما يكون مصدر صراع تبت في الأنا شعور القلق فالعلاقة بينهما تعتمد على الظروف والسياق.

يعرف أيضاً مصطلح النجار وآخرون: " الآخر والآخرين بأنهم فرد أو جماعة لا يمكن تحديدهم إلا في ضوء مرجع هو الأنا"<sup>2</sup>، أي لا وجود للآخر دون وجود الأنا، شرط الاختلاف للتفريق بينهما، يساعد على فهم الأنا بصورة واضحة.

جسدت الرواية تجليات الصراع بين الأنا الفلسطينية والآخر الصهيوني والعلاقة التي تربطهما علاقة صراع، عداوة واصطدام، تجلى هذا الصراع على مختلف المستويات: السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية والثقافية، فالآخر الصهيوني شخصية عدوانية صارمة مثله إبراهيم نصر الله في صراعه المستبد المدمر للأنا الفلسطينية التي تناضل رغبة في التحرر والانتصار. إن الحديث عن احتلال الأراضي الفلسطينية حديث عن فرض القيود الصارمة والانتهاكات الإنسانية حيث " مارس الاحتلال همجيته الشرسة مع الشعب الفلسطيني وهم يلفقون التهم كيفما اتفق"<sup>3</sup>، إذ أن وصف مناظر المجازر والمعاناة في الرواية كفيلة بإخراج شخصيات منهمكة من جميع النواحي لأن هذه الممارسات القمعية جعلت الفرد يقاوم الوجود من أجل بقاءه حياً، المعاناة مع الأمراض و نقص في الأدوية والأطعمة " رغم كل الموت كنا نسير ونحدث رغم القصف الذي كلما تجدد التصقنا بالجدران أو للركض ما بين الشوارع الضيقة نحو الأزقة الأضيق"<sup>4</sup>، فصورة الصهيوني كانت صارمة مدمرة لكل شيء من القصف، التدمير، الانفجارات، الاستهداف، الهجوم، الاختطاف، القتل، التجويع، سلب الأراضي واستعمال جميع أساليب القتل " الموت شبه يومي ولم يكن الموت الطبيعي فحسب، الطائرات

1 سعد البازعي وميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002، ص 21.

2 طارق زياد محمد: الآخر مفهوماً ثقافياً في الدراسات الثقافية، مجلة الباحث، مج 13، العراق، 2021، ص 97.

3 أمين خالد دراوشة: الأنا الفلسطينية وتأثيرها على الآخر الإسرائيلي في رواية الوجوه، لوليد أبو بكر، مجلة الأنا الفلسطينية والآخر الإسرائيلي، ع 82، 2013، <https://www.oudnad.net>، بتاريخ: 2024/05/14، الساعة: 22:16.

4 المصدر السابق، ص 366.

الإسرائيلية تعبر على مواقع الفدائيين في الأغوار ومرتفعات السلط ومنطقة أربد<sup>1</sup> فترى وجوه الشهداء تطل علينا من الملصقات "2، كثرت أساليب تعذيب المحتل الصهيوني للشعب الفلسطيني واستمرارهم في العمليات الحربية أدى إلى تأزم الأوضاع الاجتماعية والسياسية لتصبح حتمية الموت بشكل يومي واستشهاد العديد من الفدائيين في سبيل الدفاع عن وطنهم. أيضا ما خلفه الآخر الصهيوني في نفسية الأهالي من الضياع، الحزن، الخوف، القلق الهلع، اليأس والإحباط لكنها لم تفقد الأمل للعيش بكرامة في قوله "ربما كان ذلك أسوأ ما حصل لي ربما كان أفضل ما حصل لي في حياتي، إذ لم أعد أوّمن بأن هناك أبواب مغلقة آمنت أن هناك دائما فتحة خفية مهما كانت ضيقة ستتسع إن كنت تمتلك هدفاً"<sup>3</sup>.

لكن الأنا الفلسطينية المناضلة الراضة للمستعمر قاومت في سبيل استعادة أرضها وشعبها، هذا ما صورته الروائي في شخصية إبراهيم المثقف الواعي بأمور وطنه منذ طفولته مع اشتداد الحصار على أرضه، تطوع للدخول في صفوف المقاومة" في الوقت نفسه يملك جرأة التطوع للالتحاق بالمقاومة المحاصرة...سلموني سلاحاً لم أتدرب عليه"<sup>4</sup>، لم يقاوم بسلاحه فقط أيضا بعلمه ونشر الوعي بأعماله، نجد أيضا شخصية نور الذات المدافعة عن وطنها بعلمها وكفاحها رغم حرمان الآخر الشعب الفلسطيني من التعليم وتدميره للمدارس، إلا أنها كانت فتاة علم وثقافة ترمز للأمل في مستقبل أفضل لشعبها، هذه الذوات المثقفة المساهمة في نشر وزيادة الوعي عجز الاحتلال عن محاربتها "يوما بعد يوم خلال الأيام الصعبة تلك، بدأت نور تكتشف أنها تحب التمريض أكثر من حبها لأي شيء لأنها رأت الكثير من الجراح والأجساد المتشبهة بالحياة صغارا وكبارا كي لا تفارقها أرواحها"<sup>5</sup>، إضافة إلى علمها وكفاحها كانت أيضا في صفوف الجيش الأبيض لإنقاذ الأرواح وتقديم المساعدة.

1 أربد: مدينة أردنية مركز محافظة في شمال الأردن، من أكبر منها.

2 إبراهيم نصر الله: طفولتي حتى الآن، ص 254.

3 المصدر نفسه، ص 383.

4 المصدر نفسه، ص 468.

5 المصدر نفسه، ص 368.

كان لزاماً على الأنا الفلسطينية الحذر من الآخر الإسرائيلي لمحاولة طمس وسلخ هويته وتغييب الدين وهدم قوام الشعب الفلسطيني وخصوصيته، هذا الصراع الديني، الحضاري، الثقافي، السياسي بين الأنا المسلمة المتعايشة مع باقي الديانات في سلام وبين الآخر الكافر الرافض لهذا الدين وفرض السلطة، لذلك وضح إبراهيم نصر الله صورة الأنا الواعية في تشكيل هويتها والمحافظة على عاداتها دينها أرضها وثقافتها نتيجة الاغتراب داخل الوطن وخارجه.

#### 4- علاقة الأنا بالآخر العربي:

تعد العلاقة بين الأنا والآخر العربي متعددة الأوجه متأثرة بعوامل تاريخية، ثقافية اجتماعية، إذ طرح إبراهيم نصر الله بعض الظواهر السلبية في المجتمع العربي وانتقدها كالتخلف الجهل والانقسامات الطائفية في قوله " أما فلسطين فستخسر إنساناً يمكن أن يعطيها أكثر لو أصبح متعلماً، جهل الكثيرين منا نصف هزيمتنا أما النصف الآخر من الهزيمة فقد كان بسبب قياداتنا الفلسطينية والعربية"<sup>1</sup>.

أيضاً مواجهة الأنظمة الاستبدادية في بعض الدول التي تسببت في قمع الحريات، هذا ما حدث مع بشير أثناء عودته من بيروت إلى عمان يقول " المال أفضل خادم متذلل للسلطات في أزمة القمع...المال أفضل خادم متذلل للسلطات حتى بعد زوال القمع لأن المال يعتقد، وهو مصيب في هذه أن القهر ما زال موجوداً"<sup>2</sup>، في زمن القمع والقهر أصحاب المال والنفوذ هم أولى بالعمل وكل المصالح الحكم راجع لأصحاب السلطة لتستمر هذه الأزمة طول فترة النكبة.

إبراهيم الذي عرف تهميشاً في بعض الدول العربية لأنه لم ينل الشهرة والتقدير الكافي حول أعماله إضافة إلى عدم تحمله على فرصة للعمل " إذ لم تظهر في الجو أي فرصة لي

1 المصدر السابق، ص 160.

2 المصدر نفسه، ص 477.

للعمل مدرسا في مدارس وكالة الغوث<sup>1</sup> "2، لهذا هاجر أصدقاءه للبحث عن العمل للعيش في ظروف أحسن.

تعد عمان أبرز الدول التي احتضنت اللاجئين الفلسطينيين ودعمتهم سياسياً، مالياً مؤيدة حقهم في العودة إلى أرضهم، في الرواية قصف للجيش الأردني ضد الاحتلال الإسرائيلي، حيث " تم إطلاق رصاصه التنوير الثانية مع بدأ عمليات انسحاب القوتين: الهجوم والحماية، فراحت قذائف مدافع الجيش الأردني تنهال على المواقع الإسرائيلية"<sup>3</sup>.

كانت المقاومة في بيروت بعد اشتداد الحصار الإسرائيلي من خلال المظاهرات في مقطع يقول فيه " هناك في بيروت، المقاومة لا ينقصها شيء، السلاح موجود والرجال موجودون، ما يهمهم أن يقف الناس معهم، بمظاهراتهم بتأييدهم بأغنياتهم"<sup>4</sup>، ليجد إبراهيم نفسه يدعمهم في مقاومتهم والتطوع للالتحاق بهم.

يظهر انتقاد إبراهيم نصر الله لبعض الظواهر المنتشرة في الواقع العربي جليا في الرواية لكنه يؤمن بالوحدة العربية للتغلب على التحديات المشتركة بينهم، متضامناً مع قضايا الآخر مؤكداً على ضرورة التسليح بالعلم والثقافة للمشاركة في الفعاليات والمظاهرات.

1 وكالة الغوث: وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى، واختصاراً لأونروا، أسست بقرار من

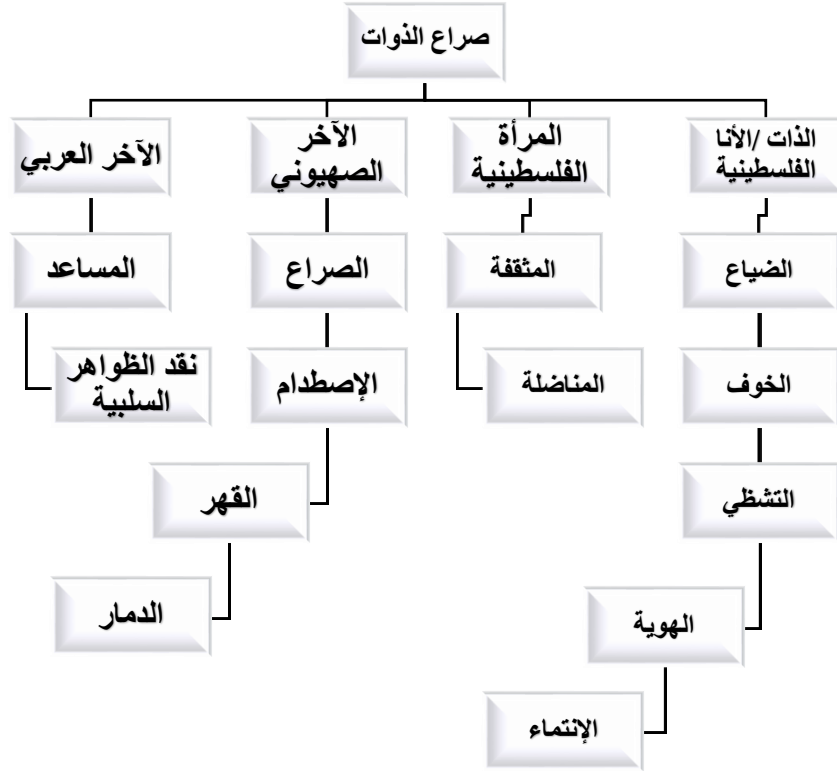
الهيئة العامة للأمم المتحدة عام 1941.

2 إبراهيم نصر الله: طفولتي حتى الآن، ص 440.

3 المصدر نفسه، ص 318.

4 المصدر نفسه، ص 468.

يستعرض إبراهيم نصر الله في رواية طفولتي حتى الآن تظاهرات الصراع بنوعيه الداخلي والخارجي، نتيجة تعرضهم لأزمات بسبب الاحتلال الصهيوني ما أدى إلى انشطار الذات وتشتتها.



#### سادساً: اغتراب الأمكنة في الرواية:

يشكل المكان أحد العناصر الأساسية في الرواية تدور فيه الأحداث هو بيئة الشخصيات يؤثر على سلوكياتها ومشاعرها " فالمكان والبيئة يمثلان البطاقة النفسية للقصة.. كما تساعد على الحالة النفسية للقصة أو الشخصية"<sup>1</sup>، الانتقال من مكان لآخر ينتج صراعاً داخلياً هو "الاغتراب المكاني" نتيجة الهجرة أو التغيرات الاجتماعية، قد يكون الاغتراب بإرادته لتحقيق أهدافه وطموحاته أو إجباري بالقوة من القهر والظروف القاسية.

تعددت الأماكن في رواية "طفولتي حتى الآن" بين الرمزية، الواقعية والتمثيلية.

<sup>1</sup> سالم معوش: صورة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرحاب الحديثة، ط1، بيروت، لبنان، 1998، ص 37.

## 1- الأماكن الرمزية:

تتحول الأماكن الواقعية إلى رمزية يصوغها إبراهيم نصر الله في الرواية لتمثل المشاعر العميقة وتجسد الصداق القائم تحمل دلالات حاول من خلالها نقل تجربته التي صاحبها الاضطراب والضياع المتمثلة في:

## أ- فلسطين:

تحتل فلسطين مكانة مركزية في الرواية حيث يصف الروائي حبه الشديد لأرضه، يصور حكايات النضال والكفاح إذ تمثل المكان الحاضر بالنسبة له كونها أرض أجداده التي عانوا فيها من التشرد والاحتلال " طفلاً عرفت القدس مرتين في العام، حين كنت أنا وأبي نزور جدي إبراهيم وأعمامي وعماتي في مخيم العزة في بيت لحم"<sup>1</sup>، غرس حب القدس في قلبه طفلاً يستعد للدفاع عنها لأن كل عربي مسلم مسؤول عن دعم القدس والوقوف إلى جانبها. شخصيات الرواية معظمها فلسطينية أو لها علاقة بفلسطين " في البداية استعادوا ذكرياتهم في فلسطين، ذكريات جميلة أعادت الحياة إلى ملامحهم"<sup>2</sup>، استرجاع ذكريات أرضهم للحفاظ على الهوية الوطنية ونقل قضية الشعب الفلسطيني ونضاله.

تدور أحداث الرواية في فلسطين، من نكبة 1948 وغيرها من الوقائع التاريخية ليؤكد إبراهيم نصر الله تمسكه بهويته الفلسطينية ويقاوم جل محاولات المستعمر لطمسها، "بدأنا نهياً أنفسنا للعودة إلى فلسطين"<sup>3</sup>، ليدل على حقه بالعودة إلى أرضه، يشعر بالاغتراب عن ذاته لأنه ظل يقارن بين حياته في المخيم وحياة الفلسطينيين في أرضهم، فهو مغترب عن كليهما، يعاني من الاغتراب النفسي أيضاً لشعوره بالضياع والغربة.

تمثل فلسطين بالنسبة للروائي مكاناً حاضراً ومتخيلاً في آن واحد، فالشخصيات، الأحداث، الموضوعات، اللغة كلها عناصر جعلت من فلسطين رمزاً للنضال والهوية والأصالة.

1 إبراهيم نصر الله: طفولتي حتى الآن، ص 63.

2 المصدر نفسه، ص 137.

3 المصدر نفسه، ص 60.

## ب- الأردن:

تعد الأردن<sup>1</sup> وطناً ثانياً لإبراهيم وعائلته بعد أحداث نكبة 1948 عاشوا في مخيم الوحدات للاجئين الفلسطينيين بعمان، يمثل مكان اللجوء بالنسبة لهم من فلسطين هرباً من الاحتلال الصهيوني " عرفت مدينة عمان حياتي، كما لم أعرف مدينة أخرى " <sup>2</sup>، على الرغم من الصعوبات التي تواجهه في الأردن لكنه وجد فرصة الدراسة وتشكيل علاقات إنسانية والاطلاع على الثقافة العربية.

ترمز " عمان " في الرواية للعلاقة المتبادلة بينها وبين فلسطين علاقة التضامن والدعم بين الطرفين " كنا نخشى أثناء وجودنا في عمان " <sup>3</sup> تمثل عمان بيئة ثقافية وجزء لا يتجزأ من حياة إبراهيم نصر الله هي ذاكرته ونضاله مكاناً مؤقتاً يتأمل من خلاله العودة إلى أرضه فلسطين حيث يتخيل الحياة هناك دائماً.

## 2- الأماكن الواقعية:

تشكل الأماكن الواقعية في رواية طفولتي حتى الآن عنصراً هاماً في بناء تجربة إبراهيم نصر الله، تضيفي البعد الواقعي على هذا العمل الروائي ومصداقية تقربه من القارئ، يربط من خلالها الأحداث والشخصيات ليوثق فيها التجربة القاسية، تمثلت في:

## أ- المخيم:

المخيمات الفلسطينية هي تجمعات سكانية أنشأتها الأمم المتحدة لوكالة الغوث، عملت على تشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الأراضي الأردنية، يمثل المخيم في الرواية رمز اللجوء، الشتات والواقع المؤلم يحمل دلالات متعددة الأوجه فهو ليس مكان إقامة إبراهيم وعائلته فقط بل يحمل معاناة الشعب الفلسطيني وتمسكه بالأرض، يجسد رحلة اللجوء للشعب بشكل عام

1 الأردن: دولة عربية تقع غرب آسيا تتوسط الشرق الأوسط بوقوعها في الجزء الجنوبي من منطقة بلاد الشام والشمال لمنطقة شبه الجزيرة العربية.

2 المصدر السابق، ص 63.

3 المصدر نفسه، ص 481.

والعائلة بشكل خاص بترك ديارهم " قطعت الطريق من مخيم العزة<sup>1</sup> هناك إلى مخيم الوحدات<sup>2</sup> هنا سيراً على رموشها"<sup>3</sup>، هذه المخيمات ضمت الأفراد من مناطق مختلفة، تتم المساعدة بينهم " أنزلونا أمام مخفر أريحا وقالوا لنا " هذا مخيم نمرة 4، هنا تستطيعون أن تنصبوا خيامكم"<sup>4</sup> يصور الحياة داخل المخيم بكل تفاصيلها لإيصال معاناة اللاجئين.

على الرغم من أنه مكان قسري إلا أنه يحمل حكاية الوطن بالنسبة لإبراهيم وباقي الشخصيات يدل على النضال، المقاومة وحلم العودة إلى الوطن الأصلي.

### ب- القرية:

يصور إبراهيم نصر الله القرية ببيوتها وأزقتها وذكريات طفولته البسيطة مع عائلته وأصدقائه، هي وطن الراوي المفقود الذي هجر منه، نشأ فيها تعلم عاداتها وتقاليدها، يصف الحنين لقريته وشوقه للعودة إليها إذ يقول " فضمن فضاءها تقع قريتي، البريج<sup>5</sup> وهي تصغير لكلمة برج، لكنني لم أكن أعرفها كما يليق بها أن تعرف، حتى قريتي لم أحظ بلقائها لأنها باتت منطقة عسكرية يحظر الوصول إليها"<sup>6</sup>، تحمل القرية معاني الذاكرة، الوطن، الحياة الجمال بالنسبة للراوي.

### ج- البيت:

يمثل البيت ملاذاً للشخصيات من مخاطر العالم الخارجي، يشعرهم بالأمان يحمل تاريخاً عريقاً يربط الراوي ببلده، ثقافته، عاداته، تقاليده، يسلط الضوء على تفاصيله الصغيرة الحاملة لمعاني عميقة بالنسبة إليه في قوله " للظهور في بيتنا.. ما إن مضت لتوقد النار في منتصف الحوش بعد إحضارها الحطب من الخارج والأقمشة البالية"<sup>7</sup>، حيث عاش فيه لحظات الفرح،

1 مخيم العزة: تأسس عام 1950 في قلب مدينة بيت لحم، أصغر مخيم للاجئين الفلسطينيين في الضفة الغربية.

2 مخيم الوحدات: أكبر مخيم لجوء فلسطيني، يقع في العاصمة الأردنية عمان، في منطقة الوحدات.

3 إبراهيم نصر الله: طفولتي حتى الآن، ص 38.

4 المصدر نفسه، ص 38.

5 البريج: قرية فلسطينية مهجرة، تقع في الجنوب الغربي لمدينة القدس، طرد اليهود سكانها في عام 1948 ودمروا بيوتهم.

6 المصدر نفسه، ص 63.

7 المصدر نفسه، ص 54.

الحزن، وقساوة الاحتلال الإسرائيلي ليجسد من خلاله إبراهيم نصر الله تجربة الشتات واللجوء التي عاشها مع عائلته، من فقدانهم لوطنهم واستقرارهم، يرمز بذلك للحنين إلى الماضي والأمل في العودة.

#### د- المدرسة:

يظهر الروائي دور المدرسة في مقاومة الاحتلال الصهيوني لتنشأ أجيالاً مثقفة واعية مناضلة في سبيل تحرير وطنها ترمز للأمل والتغيير، يصف تجربته وتفوقه هو نور في الدراسة " ما حدث حين دخلت المدرسة، كنت صاحب أجمل خط "1 فالمدسة تساعده على فهم هويته وثقافته، هي الأمل في مستقبل أفضل للراوي خلال الظروف الصعبة والشتات لكن بعد نكبة 1948 يضطر إلى مغادرتها والانتقال إلى المخيم.

#### هـ- الشارع:

يعتبر الشارع في الرواية ساحة النضال والقتال من أجل الحرية، حيث تشارك الشخصيات في المظاهرات ضد المستعمر، لتعرض للاعتقال، الضرب والقمع داخله " مع أن أي أعمى سيرها إذا سارت في الشارع "2، كان شاهداً على التغيرات الاجتماعية والسياسية قبل النكبة وبعدها، يمثل مكاناً يمارس فيه المجتمع مختلف الأنشطة، يرمز لروح المقاومة على الرغم مما يتعرض له الشعب الفلسطيني نجدهم يخرجون للتعبير عن رفضهم للاحتلال والمطالبة باستعادة الأرض المحتلة.

ساهمت الأماكن الواقعية في تصوير الواقع الفلسطيني والصراع القائم بين الشعب والاحتلال الصهيوني من خلال بث الأمل للتمسك بالهوية والأرض.

1 المصدر السابق، ص 30.

2 المصدر نفسه، ص 42.

## 3- الأماكن المتخيلة:

الأماكن المتخيلة هي الأماكن التي يلجأ إليها الروائيون في حالة رفض المكان الواقعي نجد في الرواية حضور لأماكن متخيلة في ذاكرة الروائي بالسفر إليها، هذه المساحة النفسية يلجأ إليها هروبا من الواقع المر تمثلت في:

## أ- المطار:

يمثل المطار في الرواية فرصة الهروب من الواقع المؤلم للوصول إلى أماكن جديدة لخوفه من المصير الغامض حيث استخدم المطار كرمز لتمثيل مشاعر الاغتراب والأمل في قوله " بعد تجارب عديدة للطيران إلى مدينة قريبة مثل القاهرة وبغداد وبيروت تأكد لي خلالها أن الرحلات ستكون آمنة لم يبقى سوى أن أدعو نور لافتتاح المطار "<sup>1</sup>، فشعوره بالانفصال والاستقرار في أي مكان أدى به للبحث عن حياة أفضل في الخارج والتخلص من قيود الاحتلال الإسرائيلي.

## ب- أوروبا:

لم يصرح إبراهيم نصر الله بزيارة أوروبا بشكل مباشر لكنه كان يحلم بزيارة عدة دول حتى خاله محمود كان يحلم بالسفر في قوله: " فوجئت انه يحلم بالسفر أكثر من نور "<sup>2</sup> للبحث عن حياة الرفاهية والتقدم ما يوفر لهم فرصة تجربة جديدة وتوسيع الآفاق.

أيضاً حلمه للسفر إلى باريس التي أشار إليها في عدة مقاطع في الرواية نذكر منها " اكتشفت أنني مع حذاء مثله، بصعوبة قد أصل إلى باريس "<sup>3</sup>، لذلك تمثل أوروبا المكان المتخيل الذي يحلم الروائي بزيارته والسفر إليه.

1 إبراهيم نصر الله: طفولتي حتى الآن، ص 13.

2 المصدر نفسه، ص 11.

3 المصدر نفسه، ص 14.

## ج- أمريكا:

تمثل أمريكا المكان الحضاري الذي حلم إبراهيم وعدة شخصيات بالسفر إليها، تدل على الرفاهية والرخاء في قوله: " الله يحنن قلب الأميركيان عليك مش زي ما بيعملوا معانا "<sup>1</sup> يصف مختلف الجوانب بعيون عربية مهاجرة والتحديات التي يواجهها المهاجرون وصعوبة التأقلم، قدم لنا الروائي العلاقة بين العالم العربي والأمريكي، تشكل جزءاً صغيراً من الأحداث الروائية.

## سابعاً: زمن الذاكرة:

يعتبر عنصراً أساسياً في الرواية فهو الإطار الذي تدور فيه الأحداث ليمنحها التسلسل له دور في بناء الشخصيات وربط الأحداث، يعرفه عبد المالك مرتاض أنه " كالأكسجين في كل لحظة من حياتنا وفي كل مكان من حركاتنا غير أننا لا نحس ولا نستطيع أن نلمسه ولا أن نراه "<sup>2</sup>، لأي أنه ضروري لا وجود لأي عمل روائي في غنى عنه، لأن الأحداث تكون مبعثرة يدرجها الروائي منظمة.

يشكل الزمن دوراً هاماً في رواية "طفولتي حتى الآن" حيث استخدم إبراهيم نصر الله تقنية سردية لربط الماضي والحاضر لبناء شخصية الروائي لفهم تجربة الفلسطينيين ونضالهم من أجل الحرية، يسترجع ذكريات طفولته وحياته البسيطة مع عائلته وأحداث النكبة، اللجوء والمعاناة التي واجهها وحبه لوطنه فلسطين التي ظلت عالقة في ذهنه وروحه "طفلاً عرفت القدس "<sup>3</sup>، لتترسخ في قلبه وهو طفلاً.

استعاد إبراهيم نصر الله ذاكرة طفولته بكل تفاصيلها، المتمثلة في اللعب مع أصدقاءه في شوارع القرية، الاستمتاع بحكايات الجدات و المشاركة في المناسبات الاجتماعية ذلك تجلى في قوله: " تذكرت رحلات صيد السمك التي قمنا بها "<sup>4</sup>، أيضاً استحضر قصص أمه التي ساهمت في بناء شخصيته وصقل موهبته في قوله: " في ذلك اليوم أدركت أكثر من أي يوم

1 المصدر السابق، ص 398.

2 عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، الكويت، د ط، 1998، ص 172.

3 إبراهيم نصر الله: طفولتي حتى الآن، ص 63.

4 المصدر نفسه، ص 390.

أن أمي مؤلفة عظيمة"<sup>1</sup>، تشكل أمه وجميع الشخصيات أهمية في استعادة طفولته حيث يروي حكاياتهم وتفاعلهم مع بعضهم البعض، هذا الاسترجاع الذي طغى على الرواية ليوضح استمرار هذه الطفولة حتى الآن و الحنين إلى الماضي ورغبته في العودة إليه يخلق " دائماً طمع بطفولة أخرى، طمع في ألا تنتهي"<sup>2</sup>، ليبقى أسير مراحل طفولته اللامتناهية.

الشعب الفلسطيني في ظل الاحتلال الصهيوني والأمل في العودة.

كان حله الأمل العودة والحنين إلى الماضي لجمع ذلك الشتات من خلال استرجاع الذكريات عبر تقنية الاسترجاع " ذلك بأن يترك الراوي مستوى القص الأول ليعود إلى بعض الأحداث الماضية ويرويها"<sup>3</sup>، ليستعيد ما عاشه في الماضي والتأكيد على ضرورة العودة في قوله " إن لم نستعد الماضي فسنخسر المستقبل محزن أن نحس أننا لا نملك من هذا العالم إلا خوفنا على الماضي بعد أن أصبح وحده حياتنا المؤكدة على هشاشة حاضرننا"<sup>4</sup> استرجاع الماضي بالنسبة لإبراهيم نصر الله ضرورة لفهم الحاضر لذلك عمد على ربط تجاربه الحاضرة بذاكرته الماضية وأحداث حياته المختلفة بشكل مترامن ، يسترجع الروائي ذكريات طفولته وحياته الهادئة مع العائلة والأصدقاء لأن ذاكرة الماضي حاضرة في ذهن الروائي.

يسترجع الروائي أيضاً أحداث النكبة والحرب بين الشعب الفلسطيني والاحتلال الإسرائيلي وتجاربه اللجوء بمغادرة القرية خلال نكبة 1948 والعيش في مخيمات الأردن من خلال رصد حرب 1967 وكيف أثرت على حياة الفلسطينيين وتفاعله مع الأحداث.

يصف مشهد للدمار الذي حل بمنزله في قوله: " كل ذلك الدمار الذي ألقيناه خارج البيت في الساحة...كل تلك الثقوب في الجدران"<sup>5</sup>، يستذكر مشاعر الحزن الأسى، القهر والظلم الذي تعرض له خلال تلك الفترة لتوثيق التاريخ من خلال تجربة اللجوء والتشرد والقهر

1 المصدر السابق، ص 205.

2 المصدر نفسه، ص 487.

3 سيزا قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2004، ص 58.

4 إبراهيم نصر الله: رواية طفولتي حتى الآن، ص 07.

5 المصدر نفسه، ص 372.

الاجتماعي بسبب الظروف الصعبة من نقص الخدمات الأساسية وأشار للأمراض " كانت الثمانينات من القرن الماضي حافلة بكل شيء لذا سأتوقف عن الرحيل لما بعدها...وتحليه سطوة الذاكرة " <sup>1</sup>، كما يصور مشاعر الاغتراب والانتماء المفقود الذي يعيشه الشعب الفلسطيني.

مزج إبراهيم نصر الله في نهاية الرواية بين الماضي والحاضر، ليعود بنا إلى الزمن الحالي الذي يعيشه تمثل هذا في قوله: " لأنك ستقرئين هذه الكلمات الآن، أعني عام 2020...أسوأ بما لا يقاس من عزلة زمن كورونا"<sup>2</sup>حرص على جمع المعلومات بدقة وتوثيقها، معبرا عن مشاعره بصدق.

تشكل الإسترجاعات فهما عميقا لتجربة الفلسطينيين وكفاحهم في سبيل وطنهم عامة وفهم تطور شخصية الروائي والأحداث التي مر بها، لأن استعادة طفولته وجميع الوقائع تساعده على بناء هويته المشتتة وفهم ذاته، يقدم فيها الروائي شهادة حية لزمان الذاكرة وطرح التساؤلات حول معنى الهوية خلال سنوات كتابته لهذه الرواية.

### ثامناً: تعدد الهويات في الرواية:

لم تختلف الرواية الفلسطينية عن غيرها في الحديث عن موضوع الهوية ومقوماتها، للبحث عن الذات الفلسطينية التي عانت من التشتت، الانشطار والتشظي نتيجة الاحتلال الإسرائيلي، طرح إبراهيم نصر الله في رواية طفولتي حتى الآن تعدد الهويات الثقافية الدينية اللغوية العرقية الاجتماعية وغيرها لبناء علاقات قوية بين الشخصيات ومنح فرصة التعرف على ثقافات أخرى لتوسيع الآفاق أمامها.

### 1- الهوية الوطنية:

تعرف الهوية الوطنية على أنها شعور الأفراد بالانتماء إلى وطن معين بتاريخ، ذاكرة أفكار، تراث، رموز وطنية مشتركة، حيث كانت الأم قدوة للمرأة الفلسطينية المناضلة للحفاظ على

1 المصدر السابق، ص 476.

2 المصدر نفسه، ص 458.

تماسك أسرتها، لا تتحدث إلا عن بيتها وذكريات عائلتها وطفولتها في فلسطين، الوطن بالنسبة لها مكان مقدس لتبقى روحها معلقة بها تظهر ذلك في المقطع الآتي: " تذكروا مهما رأيتم من بلاد في حياتكم فلن تروا أجمل من بلادنا"<sup>1</sup>، عانت من شعور الانفصال عن ذاتها في حياة حقيقية مع عائلتها وحياة وهمية في مخيلتها المرتبطة بفلسطين نتيجة تعرضها للعديد من الاضطرابات النفسية والاجتماعية، نجد نور أيضاً في حديثها الدائم عن فلسطين مصدر قوتها، ليست أرض تحيا فيها فقط بل هي الحرية والكرامة يظهر ذلك جليا في: " أن فلسطين لن تبقى تحت الإحتلال ما دامت هناك أجيال جديدة ولدت"<sup>2</sup>، تعيش أحداث النكبة تكافح وتتاضل للحفاظ على هويتها.

عانى كاتب الرواية من طفولته حتى الآن من الحنين إلى فلسطين، فالوطن عنده هو الأرض الذاكرة والأمل بالرغم من وصف المعاناة واللجوء لن تكسر روحه، كرس قلمه للحديث عن نضالهم ونقل معاناة شعبه لأن الكتابة حينها كانت سلاح مقاومة للاحتلال وتعزية ممارساته القمعية، كتب القصص نظم الشعر الأغاني وغيرها تمثل ذلك في قوله " للخروج من كل تلك الدوامات أقيت بنفسي في فكرة النشيد وكيف سيكون، لم يمضي الكثير من الوقت، قبل أن أصل إلى أن فكرته يجب أن تكون باعثة للأمل والإصرار على العودة إلى فلسطين"<sup>3</sup>، متمنياً الاستشهاد في سبيل وطنه في قوله: " ليتني استشهدت عام 48 وأنا أدافع عن قرينتنا في ذلك الخندق الذي كان الماء قد وصل حتى منتصفه"<sup>4</sup>، يظهر إبراهيم نصر الله حبه لوطنه من طفولته تعزز هذه الشخصية مشاعر الانتماء والوطن يقدم من خلالها صورة إيجابية عن فلسطين الصامدة ضد المحتل الصهيوني.

1 إبراهيم نصر الله: طفولتي حتى الآن، ص 40.

2 المصدر نفسه، ص 266.

3 المصدر نفسه، ص 324.

4 المصدر نفسه، ص 370.

## 2- الهوية الدينية:

تعد الهوية الدينية مفهوماً هاماً في حياة الأفراد والمجتمعات هي جزء من قيم الفرد معتقداته، شخصيته وشعوره بالانتماء لمجتمع يشاطره في المبادئ، توجه سلوكياتهم لتحديد معنى وجودهم.

بين الروائي أهمية "الصلاة" كونها ركن من أركان الإسلام لأهميتها في حياتهم تربط بين العبد وربّه "سبحانه وتعالى" وتقربه منه نظراً لمكانتها العظيمة من خلال الحرص على أدائها في وقتها بخشوع وإخلاص، تجلى ذكرها في حديث عائشة عن أخيها محمود "مع أنني صليت كثيراً لكي ينساها"<sup>1</sup>، كانت تدعو لأخيها لنسيان ما مر به من معاناة، وصل به الأمر أن يشرب من دموع أخته لشدة عطشه وذكره لأوقات الصلاة الالتزام بها في قوله: "عاد أبي بعد أن أدى صلاة الفجر"<sup>2</sup>، حتى هم وسط الصراعات والأزمات تبقى أوقات الصلاة ضرورية لديهم لتكون السبيل للدعاء في المعركة أيضاً قوله "بعد صلاة العصر بقليل"<sup>3</sup>، و"وقفت تصلي العصر ركعت سجدة وبقيت مكانها"<sup>4</sup>، هذا في وصف وفاة جدته تصلي الروائي استعمل الصلاة دلالة على إيمان الشخصيات و جانبها الروحي كرمز للواقعية في الرواية.

عند بداية الدرس "قرأ سورة الفاتحة"<sup>5</sup>، ليشير من خلالها الأستاذ إلى معاني الأمل والتفاؤل بافتتاح الدرس، في موضع آخر وردت السورة "جدي إبراهيم يعلن بصوت مرتفع "الفاتحة" ويبدأ بقراءتها"<sup>6</sup>، لقبوله بالمصري زوجاً لابنته لتتطور العلاقة بين المصري والعمّة، أيضاً حديثه عن أهمية الدعاء الذي يكشف من خلاله عن الصراع النفسي للشخصيات وملامسة مشاعر القارئ المسلم.

1 المصدر السابق، ص 35.

2 المصدر نفسه، ص 19.

3 المصدر نفسه، ص 134.

4 المصدر نفسه، ص 253.

5 المصدر نفسه، ص 27.

6 المصدر نفسه، ص 135.

في حوار بين الأم وابنها قائلة له " من سيدعو من أجلكم الله إن مت؟ هل تعرف كم هو صعب أن تدعوا الأم الله كي يحفظ لها عشرة أبناء.. عشرة أبناء لا يستر أرواحهم في هذه الغربة وطن"<sup>1</sup>، وضح لنا مشاعر القلق والحزن التي تكنها الأم لأبنائها في غربتهم، دعاءها من الله سبحانه أن يحفظهم لصعوبة الأوضاع التي مروا بها، أيضاً دعاء الجدة خضرة لابنها محمود " اللهم وسع أبواب الدنيا قدامه وين ما كان "<sup>2</sup>، تتمنى التوفيق له، أيضاً الدعاء بالرحمة في كل مرة سمعوا عن وفاة أو قتل " الله يرحمهم.. ردد أبي وإخوتي ما قاله "<sup>3</sup>، لأن الدعاء سبيلهم لمناجاة الله لتحقيق السكينة في قلوبهم ولوطنهم.

إيمان الشعب الفلسطيني بأن الله وحده غافر للخطايا عكس الحكومات التي لا تغفر ولا ترحم " الله يغفر الخطايا "<sup>4</sup>، لأن الإنسان يستمد قوته من الإيمان بالله، لا من الناس خصوصاً المستعمر المستبد، تحضر المناسبات الدينية في الرواية " ارتدينا ملابس كان اشتراها لي أبي لعيد الفطر، وخبأتها مجبراً لارتدائها ثانية خلال عيد الأضحى "<sup>5</sup>، تمكن هذه الأعياد من خلق جو آخر حتى إن كانوا في الحرب.

وظف العديد من العبارات التي تدل على الدين الإسلامي مثل الله أكبر، الحمد لله في قوله "نحمد الله أنه عاد حياً " "<sup>6</sup>، دلالة على الشكر والامتنان لله لعودة أخ إبراهيم سالماً من المعارك.

أشار أيضاً إلى عمته التي تؤمن بالسحر والسحرة لأنها أمور محرمة يحذر منها الإسلام لأنها شرك بالله، تلحق الضرر بالناس، وجب الحذر منها، علاجه يكون بالطرق الشرعية.

1 إبراهيم نصر الله: طفولتي حتى الآن، ص 34.

2 المصدر نفسه، ص 223.

3 المصدر نفسه، ص 229.

4 المصدر نفسه، ص 487.

5 المصدر نفسه، ص 51.

6 المصدر نفسه، ص 447.

يعتبر التضرع لله تعالى طلب العون والرحمة منه حضر في قول الجدة " يا رحمن يا رحيم، يا رحمن يا رحيم "1، لما فيها من لطف ورحمة.

توظيفه للجنة والنار التي تحمل معاني الإيمان باليوم الآخر لتوجيه السلوك للخوف من العقاب والأمل في الثواب " حيث يسعى الروائي دائماً في سرده للأحداث وبعد الصراع أي أثناء عملية الحكى أن يوظف الخطاب الديني الذي من خلاله يبين انتماءه وثقافته الإسلامية"2. وظف إبراهيم نصر الله الدين باعتباره إحدى المقومات الأساسية للهوية وعنصر مركزي في الحياة، كأداة لفهم الشخصيات وأخلاقها وفهم أمام المستعمر الذي حاول طمس هويتهم الدينية من خلال الأعمال الشرسة بتدمير المساجد مكافحة المتقفين ووصفهم بالتخلف.

برزت كذلك الهوية المسيحية<sup>3</sup> من خلال شخصية العمدة " عمتي الطيبة كانت تضع صليباً يتدلى في رقبتها "4، هدية من صديقتها التي راحت ضحية قذيفة ألقتها طائرة إسرائيلية، فكان التعامل مع ذلك الصليب باحترام تقاهم وإيجابية " هكذا أصبحنا نتلمس الصليب<sup>5</sup> الصغير برهبة ورفق، كما لو أننا نتلمس جسد سيدنا المسيح عليه السلام معلقاً عليه، حتى لا نوقظ جراحه "6، الصليب يمثل دلالات الفداء في اعتقادهم يعني تضحية المسيح بنفسه لخلاص البشرية من الخطيئة والأمل في الحياة.

1 المصدر السابق، ص 126.

2 مفيدة بنوناس: تمظهر الخطاب الديني في الرواية المغاربية المعاصرة، المركز الجامعي، مجلة الأثر، ع 13، الطارف، 2012، ص 267.

3 المسيحية: ديانة إبراهيمية توحيدية متمحورة في تعاليمها حول الكتاب المقدس، بشكل خاص يسوع الذي قدم ذروة التعاليم الروحية، الاجتماعية، الأخلاقية، مخلص العالم من الخطيئة بموته على الصليب.

4 إبراهيم نصر الله: رواية طفولتي حتى الآن، ص 103.

5 الصليب: شكل هندسي يتكون من قطعتين مستقيمتين بشكل متعامد على بعضهما من أقدم الرموز الإنسانية يستخدم في العديد من الديانات منها المسيحية.

6 المصدر نفسه، ص 103.

" دائماً أحس أن الصليب المعلق في رقبتني نجا، لكن المسيح مات وتتساءل لماذا ينجو الصليب في كل مرة يكون هناك قتل ويموت المصلوب"<sup>1</sup>، بمثابة تذكار لصديقة العمة ارتداؤها له يمنحها القوة في الأوقات الصعبة.

أيضاً ورد حديثه عن المسيحية في قوله: " من أول جبل القويسمة خلف مقبرة المسيحيين إلى آخر الجبل"<sup>2</sup>، لتكون المسيحية مصدر إلهام في تشكيل هوية مجتمعاتها، في موضع آخر لصديقة إبراهيم "هالة" هي الأخرى ترتدي صليباً في رقبتها " في اللحظة التي اندفعت سلسلة صليب ذهبي صغير خارج قميصها واستقر فوق صدرها"<sup>3</sup>، كان التعايش بين الشخصيات على اختلاف الديانات أمر عادي ساد بينهم التفاهم، الرفض كان للمستعمر الظالم وسياسته.

أعطى الروائي فرصة الحديث عن التعايش بين الأديان لأن الهدف واحد متمثل في تحقيق السلام بين المجتمعات ووعي الشخصيات بثقافة الغير باحترام معتقداتهم أي علاقة الفلسطيني مع الآخرين علاقة تعايش عكس علاقته مع الاحتلال الإسرائيلي الذي سعى إلى زعزعة الهوية العربية الإسلامية التي دفعتهم إلى الارتباط بالأرض، فمحاولة طمس الهوية وحالة التذبذب "جعل الهوية العقدية ثابتة على الرغم من تشتتها"<sup>4</sup>، لذلك سعى الفلسطيني للحفاظ على اللغة العربية من خلال التعليم، الثقافة والترويج لها عبر التلفاز، الإذاعة والإنترنت.

### 3- الهوية اللغوية:

تعد اللغة مقوماً لبناء الهوية أو الانتماء للمجتمع، لها دوراً في تشكيل هويتنا الفردية والجماعية.

1 المصدر السابق، ص 103.

2 المصدر نفسه، ص 155.

3 المصدر نفسه، ص 442.

4 فادي أبو بكر: الهوية العقدية الفلسطينية من النشأة إلى التشتت <https://www.maannnews.net/articles/871528.html>

بتاريخ: 2024/05/21، الساعة: 18h47.

تطرق إبراهيم نصر الله لتعدد اللهجات في الرواية للتعبير عن هوية الشخصيات وثقافتهم وخلفياتهم ليخلق الجو الواقعي الذي تدور فيه الأحداث، هذا التعدد نتيجة الهجرة، انتقال الشخصيات من فلسطين إلى عمان، الاغتراب وترحيلهم جراء الحرب والصراع، أيضاً نتيجة السفر إلى الدول الأخرى لبعض الشخصيات للدراسة وإكمال حياتهم هناك.

تجدر الإشارة للحديث عن اللهجات أن اللهجة الفلسطينية والأردنية تأثرتا بعوامل مختلفة كاللغة العربية، اللغات المجاورة، الهجرات، التغيرات السياسية لهذا كلاهما متقاربتين على الرغم من بعض الاختلافات هذا ما شهدناه في الرواية " فاللهجة العربية الفلسطينية شأنها شأن بقية اللهجات العربية الأخرى في العالم العربي هي وليدة اللغة العربية الفصحى في جوهرها من حيث الصرف والنحو والدلالة"<sup>1</sup>، جاء حديث الجدة وهي تخاطب أبناءها للحديث عن أبيهم الذي قرر الذهاب إلى حبيبتة بعد أن صار عجوزاً في قولها " أتركوه يروح وين ما يروح، الله يسهل عليه اللي فات من عمري وعمره أكبر بكثير من إليّ ظل، اللي عشت معه بيكفيني و إليّ راح يعيشه معها إن شاء الله يكفيه"<sup>2</sup>.

أيضاً قوله " راجعين أحنا راجعين"<sup>3</sup>، يدل الشاعر على العزم للعودة إلى الأرض المحتلة وحقهم في العودة، الصمود والتأكيد على التمسك بالأمل، إضافة إلى استعمال ألفاظ من اللهجة الفلسطينية مثل " مشحرين، مسخطين<sup>4</sup>، هرعيته<sup>5</sup>، كلاك<sup>6</sup>..."<sup>7</sup>، لينقل القارئ إلى الثقافة الفلسطينية هذه اللهجة العامية تستعمل لتناسب بيئة الرواية.

1 حسيب شحادة: قاموس اللهجات العربية الفلسطينية العتيد نظرات في قاموس البرغوثي، <https://www.raialyoum.com/>

بتاريخ: 2024/05/19، الساعة: 13h18.

2 إبراهيم نصر الله: طفولتي حتى الآن، ص 148.

3 المصدر نفسه، ص 44.

4 مشحرين، مسخطين: عاثره الحظ.

5 هرعيته: ذاك هو.

6 كلاك: قلاقل.

7 المصدر نفسه، ص 44.

تحضر اللهجة المصرية لتحديد حياة المصري وانبهار العمدة به وإصرارها للحديث معه " أصبحت تصر على الحديث معنا باللهجة المصرية"<sup>1</sup>، تعلمت هذه اللهجة للتقرب من المصري في حوار بينهما باللهجة المصرية:

- " صباح الخير
- صباح الخير، أجب وعقله في مكان آخر.
- إزاي حضرتك؟
- الحمد لله، أجب وقد عاد عقله.
- أنت بتتكلمي مصري؟
- أمال إيه؟"<sup>2</sup>.

اختلاف لهجة المصري لم يكن عائقا للتعايش مع المجتمع الفلسطيني بل سعى للتأقلم مع العائلة والشعب.

توظيف ألفاظ اللغات الأجنبية من تقنيات كسر رتبة السرد وجذب انتباه القارئ، تجلى ذلك في الرواية من خلال توظيف اليونانية في قوله: " autós تعني النفس و ypàφw أو gràpho تعني الكتابة"<sup>3</sup>، والإيطالية في قوله: "Bounasera<sup>4</sup> حيث المرأة الجميلة"<sup>5</sup>، دليل على مهارة الروائي وإطلاعه على ثقافات أخرى يخلق شعور الغربة لدى القارئ. تعدد اللغات واللهجات في الرواية للتعبير عن تنوع الشخصيات وخلفياتهم الاجتماعية، الثقافية لخلق جو من الاختلاف في الوقت الذي تواجه فيه اللهجة الفلسطينية تحديات نتيجة محاولة الاحتلال الإسرائيلي طمس اللغة ومنع استخدامها في الإعلام والمؤسسات الرسمية لكن جهود الشعب الفلسطيني حاضرة للحفاظ عليها.

1 المصدر السابق، ص 44.

2 المصدر نفسه، ص 44.

3 المصدر نفسه، ص 438.

4 Bounasera : كلمة إيطالية تعني مساء الخير.

5 المصدر نفسه، ص 492.

## 4- الهوية التاريخية:

تعد الهوية التاريخية ذاكرة الأحداث والوقائع المشتركة لأفراد الشعب الواحد، استحضرت إبراهيم نصر الله في روايته "طفولتي حتى الآن" العديد من الأحداث التاريخية، استهلها بنكبة 1948، إذ تم فيها قصف وتهجير الفلسطينيين من أراضيهم كانت بداية حرب بين الشعب الفلسطيني والإسرائيلي " عام النكبة 1948 حين هاجمت الكتائب الصهيونية قرية جدي مدينة الرملة"<sup>1</sup>، في تصوير لمشهد القصف الذي تعرضت له عائلة إبراهيم.

في حدث آخر لاغتيال عبد الله الحسين مؤسس المملكة الأردنية الهاشمية يقول فيه الروائي: " في يوم الجمعة، ظهيرة العشرين من تموز 1951 تم اغتيال الملك عبد الله في مدينة القدس"<sup>2</sup>، اغتيل عند مدخل المسجد الأقصى أثناء أدائه للصلاة، نقل جثمانه إلى عمان ليُدفن فيها.

أما الحرب التي نشبت بين إسرائيل وعديد من الدول العربية، أطلق عليها "نكسة حزيران"<sup>3</sup> " في عام 1967 كان أبي يتابع أخبار النازحين، توقف عن سماع أخبار الحرب"<sup>4</sup>، هذه الحرب اندلعت دون أن تخطط لها إسرائيل.

تمثل الحدث الأخير في "حرب أيلول"<sup>5</sup> سمي أيضاً بالحرب الأهلية " تجربتها قاسية في معارك أيلول الأسود 1970"<sup>6</sup>، فهي صراع نشب في الأردن بين القوات المسلحة الأردنية نتيجة إسقاط حكم الهاشميين، ما جعل الراوي يوظف الأحداث التاريخية ليدل بها على الهوية العربية الفلسطينية، هوية وطنه الذي عانى من المستعمر الصهيوني.

1 إبراهيم نصر الله: طفولتي حتى الآن، ص 132.

2 المصدر نفسه، ص 137.

3 نكسة حزيران: تسمى في إسرائيل حرب الأيام الستة نشبت بين إسرائيل والعراق ومصر وسوريا والأردن تعتبر ثالث حرب ضمن الصراع العربي الإسرائيلي.

4 المصدر نفسه، ص 64.

5 حرب أيلول: نزاع مسلح بين الأردن بقيادة الملك حسين ومنظمة التحرير الفلسطينية بقيادة الرئيس ياسر عرفات وقعت المرحلة الرئيسية من القتال في الفترة ما بين 16 - 27 سبتمبر 1970، رغم استمرار بعض جوانب الصراع لحد 17 يولييه 1971.

6 المصدر نفسه، ص 379.

## 5- الهوية الاجتماعية:

ينتمي الفرد إلى المجتمع الذي يعيش فيه، يحمل ثقافته، عاداته، تقاليده، أعرافه لتشكل بذلك الهوية الاجتماعية التي تمكنه من التأقلم مع محيطه وتطويره.

جسد إبراهيم نصر الله خصائص الهوية الاجتماعية من خلال المظاهر التي تتمثل في الحاجة والفقر بسبب الاحتلال حيث تتم استعارة الأطفال لزيادة حصتهم من الطعام " كان الجيران يستعيرونك كلما جاء موظفو وكالة الغوث لإحصاء اللاجئين لكي يحددوا عددهم لأغراض استلام المؤن فكل أسرة تأخذ كمية من الطحين والصابون والزيت والعدس حسب عدد أفرادها"<sup>1</sup>، ظاهرة الفقر في المجتمع الفلسطيني مرتبطة بوجود المستعمر الصهيوني الذي سلب أراضيهم.

يصف الأسى الذي حل بقلوبهم في قوله: " كل شيء في هذه الدنيا يمكن أن تضعه في قفص إلا القلب والروح والأحلام "<sup>2</sup>، فالمشاعر أقوى ما يمتلكه الفرد الفلسطيني لا يمكن تقييده بشيء مادي أو خارجي للتغلب على الصعاب وتحقيق أحلامهم، هذه حالة أغلب الشخصيات في الرواية ، تشكل الأسى نتيجة الحرمان والظروف القاهرة " كل أسرة كبيرة في المخيم لديها بحر من الفقر، تتقاذفها أموجه "<sup>3</sup>، هذا الاستعمار فرض عليهم المقاومة في كل الظروف وأكل الحيوانات الغريبة لعدم توفر الغذاء وانشغالهم بالحرب، لأنها دمرت المحاصيل، ما أدى إلى نقص في الغذاء واضطرار الأهالي والفدائيين العثور على مصادر الطعام في الطبيعة، هذا ما حدث مع نور خلال العمليات الفدائية رفقة عدد من الزهرات " فالالتجاء لما توفره الطبيعة في الأوقات التي يفقد فيها المقاتلون والمقاتلات فرص الوصول إلى الطعام، أمر ضروري للبقاء على قيد الحياة "<sup>4</sup>، الحرمان من التعليم ونشر الوعي في المجتمع كان من خطط المستعمر لخلق مجتمع جاهل راضٍ لما يحل به، في مشهد تدمير المدرسة وخوف

1 المصدر السابق، ص 52.

2 المصدر نفسه، ص 252.

3 المصدر نفسه، ص 393.

4 المصدر نفسه، ص 311.

إبراهيم " خرجنا راكضين من صفوفنا المدرسية والأساتذة يصرخون " أسرعوا عند بوابات ساحات مجمع المدارس تراحمنا "<sup>1</sup>، هذا الدمار بثت الخوف وفقدان الشعور بالأمان بعد ما كانت المدرسة هي المكان الوحيد الذي يشعرهم بالأمان.

لم يمنع هذا إبراهيم ونور وباقي أصدقائهم من الامتناع عن الدراسة بل واصلوا تعليمهم وذهابهم إلى المكتبات للتسلح بالعلم، ليست فقط المدارس التي تقصف حتى الساحات العامة " اقتربت خطوات المعركة أكثر، فبعد أن كانت في أطراف المخيم، الجنوبية والغربية، بدا أنها وصلت إلى سوق الخضار حوله ساحات المدارس "<sup>2</sup>، تدمير المدارس من طرف المستعمر ممارسة تعيق الأطفال والمعلمين هذا من شأنه أن يهدد مستقبلهم وأرضهم يعرض الروائي ظاهرة عدم امتلاك المال الكافي لإرسال إبراهيم إلى الجامعة بسبب الحالة الاجتماعية المزرية لعائلته يقول: " انحنيت وبدأت تجمع أوراق الدالية التي سقطت على الأرض وتضعها في مقدمة ثوبها ... ظلت تتقدم باتجاهي ودموعها تتقدم إلى أن وصلتني أرخت يديها فسقطت الأوراق أمامي ومعها سقطت دموعها، هذا هو المال الوحيد الذي نملكه لبيتنا كنا نملك مالا غيره لأرسلك إلى أفضل جامعات الدنيا "<sup>3</sup>، كان الفقر عائقا أمام حصوله على تعليم الجامعة، بث هذا في أمه شعور الحزن لأنها في صراع مع نفسها لعدم وفائها بالوعد لدراسة ابنها عند نجاحه في الامتحان.

خلف قصف المدارس صعوبات واجهها الطلاب والمدرسين أنتجت نقصا في الخدمات حيث " شهدت تلك السنوات بدايات انهيار مكانة المعلمين ومستواهم المعيشي "<sup>4</sup>، تدمير البنى التحتية كالمباني، المدارس وغيرها من المرافق العامة أعاققت الخدمات الأساسية للشعب الفلسطيني حتى المعلمين امتهنوا مهن أخرى لكسب الأموال.

1 إبراهيم نصر الله: طفولتي حتى الآن، ص 341.

2 المصدر نفسه، ص 341.

3 المصدر نفسه، ص 382.

4 المصدر نفسه، ص 393.

إصرار العدوان الإسرائيلي على تشتيت قوام المجتمع الفلسطيني وانتهاك خصوصيته، تُجبر شخصيات الرواية على المشاركة في المقاومة، القتال، التعلم، نشر الوعي والعمل على تخفيف الآثار السلبية في نفوسهم.

تنوعت العادات والتقاليد في الرواية لدى الفلسطينيين بداية بتقديم الحلوى " في أيام الجمعة تكافئنا بحلوى، هي طعام الفطور أيضاً تسلق المعكرونة الناعمة التي نسميها الشعيرية<sup>1</sup>، ربما بسبب سمكها الأقرب لسمك الشعرة وبعد ذلك ترش عليها قليلاً من السكر كانت أطيب من الكنافة التي نسمع عنها ونراها عن بعد ولن نندوقها إلا بعد زمن طويل "<sup>2</sup>، هذه الحلوى تحضرها الأم في يوم الجمعة، تقدم أيضاً للضيوف " صباح الجمعة تناولت نور و بشير الإفطار عندنا، تلك الأكلة المفضلة التي لا تنتمي للحلويات ولا تنتمي للطعام، الشعيرية المسلوقة المحلاة بالسكر"<sup>3</sup>، ذكر عادات أخرى تمثلت في إكرام الضيف عند زيارة المصري لهم بعد أن أصبح زوج العمّة " طلب أبي من أمي أن تشتري لحماً لـ "المقلوبة"<sup>4</sup> التي ستعدها ... فهي فرصتنا الاستثنائية لتناول القليل من لحم الدجاج المتبقي بعد أن يأكل الضيف "<sup>5</sup>، بسبب الوضع السيء وقلة المال ينتظر الجميع حضور الضيوف كفرصة لاستغلالها، فالكرم يقوي العلاقات بين الأفراد ، عرف شعب فلسطين بتقديم أفضل ما لديهم من طعام وإقامة البيئّة بسبب القاسية التي عاشوا فيها جعلوا من التعاون والتكافل أساس علاقتهم، فتعامل عائلة إبراهيم مع المصري وإرسال الطعام له والوقوف بجانبه طيلة مدة مرضه دليل على كرمهم وأصالتهم.

1 الشعيرية: نوع من المعكرونة الرقيقة المصنوعة من الدقيق والماء والملح يرش عليها السكر.

2 المصدر السابق، ص 54.

3 المصدر نفسه، ص 280.

4 المقلوبة: طبق فلسطيني تقليدي يتكون من الأرز واللحم أو الدجاج والخضروات يتم طهيه في قدر ثم قلبه رأساً على عقب عند التقديم.

5 المصدر نفسه، ص 211.

تحدث أيضا عن تقاليد عائلته ومجتمعه العربي الفلسطيني عند طلب الفتاة للزواج " في الوقت الذي تجمعت فيه فتيات العائلة ونسائها في الخيمة، تجمع الرجال داخل الغرفة الصغيرة المحاذية للمطبخ"<sup>1</sup>، يمثل عادات المجتمع العربي وتقدم الرجل إلى منزل الفتاة لطلبها من أهلها، وبيان حياء نسائهم وفتياتهم في الجلوس بعيداً عن الرجال في وقت سعى فيه المستعمر إلى تحويل أفرانهم إلى أحزان " أعراس كبيوت عزاء وهذا يذكرني الآن كيف تحول عرس أمي وأبي إلى ماتم"<sup>2</sup>، ذلك من خلال ما روته له أمه عن العرس الذي تحول إلى جنازة، قتل فيه الكثير من الناس ليبقى شعور الخوف من الأفران يلاحقهم.

بين إبراهيم نصر الله أهمية "الثوب الفلسطيني"<sup>3</sup> اللباس التقليدي لشعب فلسطين المتميز بألوانه الزاهية و زخارفه كرمز للهوية، يتم ارتداؤه في المناسبات، يجسد تراثهم وثقافتهم يرمز أيضاً للمقاومة كما فعلت النساء في قوله: " في عرس أمي وأبي تجرأت بعض النسوة فارتدين بعض أثوابهن الملونة المطرزة بالحريز، كان ذلك بحد ذاته تمرداً على كل شيء على الحزن والشتات وسوء الحال وأوامر الرجال الذين حفر العبوس والضجر والمذلة والشقاء أخاديد في وجوههم"<sup>4</sup>، لأن هدف العدو واضح، تمردت النساء لفرض ذاتهن المتشبثة بالأرض والهوية للصدود في وجهه.

يفتح معرض الصور الذي حضره مسؤولو المركز الثقافي الفرنسي أجانب، كتاب صحفيون لعرض اللوحات وتاريخها من قبل الأم عائشة بلباسها التقليدي " تقدمت فيها امرأة بثوبها الفلسطيني المطرز"<sup>5</sup>، ليبين لنا حضور الزي الفلسطيني والتعريف به، لمكانته كرمز كفاح للشعب الفلسطيني.

1 إبراهيم نصر الله: طفولتي حتى الآن، ص 134.

2 المصدر نفسه، ص 135.

3 الثوب الفلسطيني: زي تقليدي يرتديه كل من الرجال والنساء يتميز بألوانه الزاهية وتطريزه المعقد يرمز للهوية والثقافة الفلسطينية.

4 المصدر نفسه، ص 13.

5 المصدر نفسه، ص 451.

تجلى حضور الطب العربي<sup>1</sup> من استخدام النباتات الأعشاب والمواد الطبيعية للحفاظ على صحة المجتمع في ظل نقص الأدوية والمسافات البعيدة للذهاب إلى المستشفيات كان استدعاء الطبيب العربي لمعالجة إصابة إبراهيم " دخل الطبيب الذي كانوا يطلقون عليه اسم "طبيب عربي" ويقصدون طبيباً شعبياً"<sup>2</sup>، بروز الطب الشعبي ليدل على الثقافة العربية. أيضاً زيارة المريض وإحضار الهدايا من عاداتهم بعد إصابة إبراهيم ذلك حاضر في مقطع: " في أسبوعي الإصابة، امتلأ البيت بالزائرين، أخواتي وإخوتي فرحوا بذلك فقد أحضر الزوار حلوى وفواكه في مقدمتها الموز، بعضهم أحضر أرز وسكرا كهدايا حسب العادة السائدة"<sup>3</sup>، فتقديم الحلوى أو الهدايا للمرضى أو في المناسبات يبقى دين على العائلة لاسترجاعه فيما بعد.

يتحدث أيضاً عن قصص التراث والقصص الشعبية التي تسردها الأم على أبناءها بغرض الحفاظ على الهوية العربية، ونقل العادات من الأجيال السابقة للأجيال الحاضرة لاطلاعهم على تراث وطنهم " في تلك الليلة لم نعرف أي حكاية شعبية تلك التي سترويها لنا، فقد سبق وأن حدثتنا كثيراً عن نص نصيص، وجبينة، وبقرة اليتامى، والطير الأخضر، والعنزة والعنيزة وقصص أخرى"<sup>4</sup>، هذه القصص الشعبية حافظت الأم والجدة على سردها كجزء هام من التراث الثقافي الفلسطيني والتاريخي مع إضافة عناصر الخيال أحياناً.

ترتكز الهوية الاجتماعية على الثقافة، العادات، التقاليد، كل ماله علاقة بالمجتمع الفلسطيني الذي بذل جهوداً كبيرة لمقاومة تشظي الهوية الثقافية وهوية مجتمعهم بإحياء للفنون والمحافظة على التراث الثقافي تمرداً على محاولات إسرائيل لصنع الاحتفالات والتعبير عن هويتهم الثقافية.

1 الطب العربي: أو الطب الشعبي هو نظام طبي قديم يتوارث عبر الأجيال، يعتمد على استخدام الأعشاب والنباتات لعلاج الأمراض وتعزيز الصحة.

2 المصدر السابق، ص 192.

3 المصدر نفسه، ص 194.

4 المصدر نفسه، ص 204-205.

## 6- الهوية الحضارية:

تساهم الحضارة كونها نتاج فكري أو مادي في فهم التجارب الإنسانية وتنوعها من مظاهر التأثير بالحضارة في الرواية، نجد التلفاز الذي يلعب دوراً في تشكيل الهوية من خلال عرض برامج تشمل الجوانب المختلفة لهويتهم وتعريف المشاهدين بتاريخهم وثقافتهم، يشجع على التفاعل الاجتماعي، امتلاك التلفاز في ذلك الوقت يبعث في الأفراد شعور أنهم في آخر زمن في قوله: " قلة هم أولئك الذين تجرؤوا على اقتناء جهاز تلفزيون، أحياناً بسبب الخوف على أخلاق أفراد العائلة، أو لأسباب مالية أيضاً، لكن إغواء الجديد غلب القديم دائماً ففي داخل كل جديد يمكن الفضول"<sup>1</sup>، عدم توفره في كل بيت بسبب ارتفاع تكلفته كما هو واضح في الرواية في قوله " دخل التلفزيون بيت خالتي زينب، فأحسنا أننا في زمن آخر والأيام طويلة كان على كل منا أن يحاول الوصول قبل الآخرين، ليجد له مكاناً يجلس فيه"<sup>2</sup>، كما أن للراديو أهمية في حياة الشعوب الفلسطينية في إيصال صوتهم للعالم ، نشأ عام 1926 أول محطة "إذاعة القدس"، بعد نكبة 1948 برزت إذاعة صوت الفلسطينيين لتنتقل أخبارهم حيث أن " كل إنسان في المخيم انتظر وتمنى سماع ذلك الخبر قبل الآخرين، وكأن ذلك سيجعله أول العائدين، لذلك كانوا يحتملون المخاطر التي يمكن أن تتجم بسبب اقتناء راديو"<sup>3</sup>، كان للراديو أهمية لدى عائلة إبراهيم نصر الله وللشعب الفلسطيني، كمصدر للأخبار خصوصاً في المناطق النائية والحفاظ على التراث من خلال تعزيز الهوية وبت الأغاني و الأناشيد كما في قوله: " خصصت وقتها كله لسماع الأغنيات المصرية والتمثيلات المصرية التي تبت كثيراً عبر إذاعة القاهرة بل والأفلام التي تذاق صوتاً، كأنها تمثيلات إذاعية"<sup>4</sup>، رحلة الاغتراب من أمريكا إلى الأردن لدى هالة للاحتفال بعيد الحب مع إبراهيم دليل على إتباع الغرب للتطلع إلى حياة

1 إبراهيم نصر الله: طفولتي حتى الآن، ص 251.

2 المصدر نفسه، ص 251.

3 المصدر نفسه، ص 42.

4 المصدر نفسه، ص 473.

مختلفة يظهر ذلك في قوله: " جاءت للاحتفال معك بعيد الحب "<sup>1</sup> وقوله: " كل عام وأنت الحب كله "<sup>2</sup> كانت هالة في كل مرة تحاول نيل إعجابه للتقرب منه .

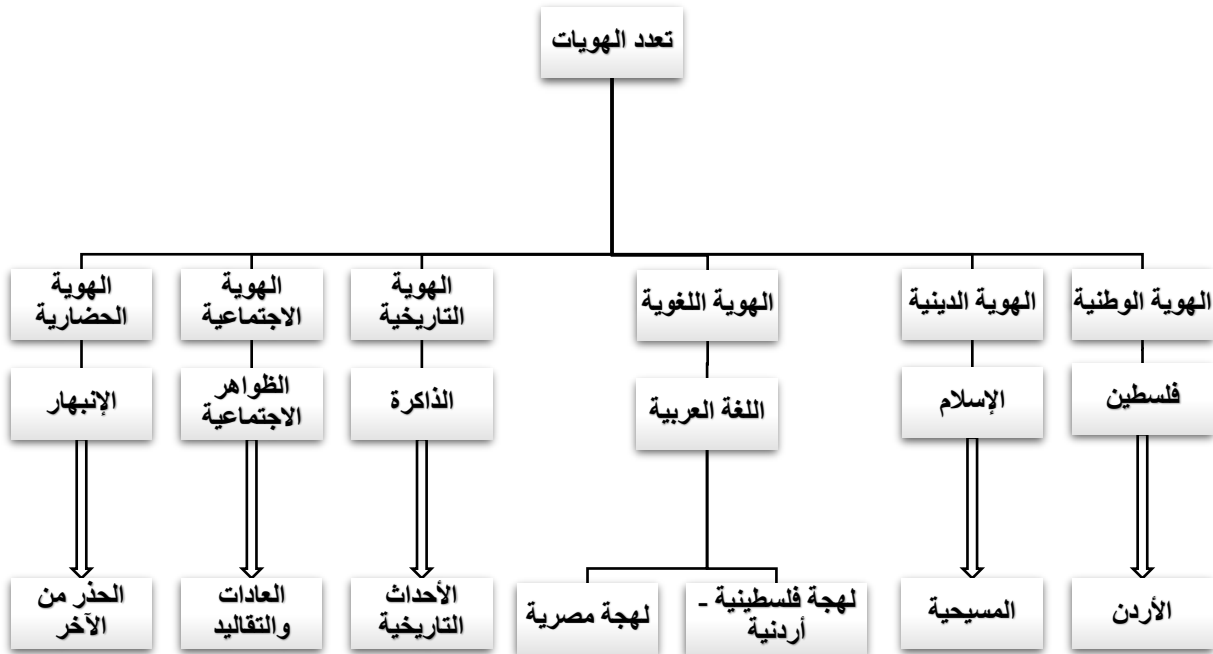
جسد الروائي مظاهر الانبهار في الرواية أثناء سفره إلى جدة، تمظهر ذلك في قوله: " أنا مبهور بأضوائها، إعلاناتها، صخبها مدينة لا تشبه عمان "<sup>3</sup>، رغم الانبهار بالحضارة بصورة إيجابية وتأثيرها على المجتمع الفلسطيني، يبقى الاحتفال بأمور غربية من استراتيجيات التأثير السلبي الذي قد لحق بالهوية الثقافية لما فيه من تغييب للدين والقيم والمبادئ، تخلق فجوات في المجتمع العربي عامة.

لعل تعدد الهويات بين الوطنية، الدينية، اللغوية، التاريخية، الاجتماعية المنعكس على المتن الروائي نتيجة الاغتراب الذي فرض عليهم التعايش مع الهويات الأخرى في ظل الصراع مع الآخر الصهيوني، بمحاولته لطمس وتفتيت الهوية.

1 المصدر السابق، ص 470.

2 المصدر نفسه، ص 471.

3 المصدر نفسه، ص 454.



تاسعاً: صورة المثقف الفلسطيني في إثبات ذاته:

جسدت رواية "طفولتي حتى الآن" «صورة المثقف الفلسطيني في ظل الحرب الصهيونية باعتبار المثقف "رجل علم والمعرفة والموقف الحضاري العام تجاه عصره ومجتمعه وتمثل المثقف أو إدراكه للعمليات المعقدة من التفاعل بينه كإنسان علم ومعرفة وبين المواقف والموضوعات الاجتماعية والحضارية المتطورة بصفة عامة"<sup>1</sup>، أي إعطاء أهمية لدور المثقف في التفاعل بينه وبين قضايا مجتمعه وفهمه العميق لامتلاكه المعرفة والخبرة فهو بحاجة إلى مساحة أكبر من الحرية للتعبير عن الذات وطرح الأفكار للتغيير بقدرته على تصوير الحقيقة لجمهوره ونقد الظواهر السلبية للسعي إلى إيجاد الحلول " فهو مجبر بهدف الاستمرار بالحياة على التعايش وسط بشر من نوع آخر وثقافة أخرى ونمط سلوكي معرفي آخر"<sup>2</sup>، أي التعرف على الثقافات الجديدة واحترام الاختلافات، التواصل الانفتاح والاستفادة من هذه التجربة لتطوير قدراته ومهاراته.

يُعرف "جون بول سارتر" المثقف على أنه كل " شخص بلغ الشهرة بفضل أعماله في مجال الفكر، ويستغل تلك الشهرة للتدخل في أمور خارج مجال تخصصه، أو باختصار التدخل فيما لا يعنيه"<sup>3</sup>، بفضل ما يتمتع به من معرفة واسعة ووعي عميق، قادر على تقديم مساهمات قيمة في مختلف المجالات، يملك مسؤولية أخلاقية تجاه مجتمعه، يستخدم شهرته للتعبير عن رأيه وموقفه من القضايا العامة، لكن التدخل في شؤون أخرى قد يؤدي إلى انقسامات في المجتمع، خاصة إذا كان رأيه متغير أو متعلق بمصالح شخصيته، يجب على المثقف أن يدرك حدود تخصصه ويدرك التعامل مع غيره بمسؤوليته وحذر، مع استخدام معرفته ووعيه بشكل مفيد لخدمة المصالح العامة.

1 عبد الله أبو بكر الأنصاري: شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة، دار الحدائق، لبنان، بيروت، ط1، 2014، ص 27.

2 علي لفتة سعيد: المثقف العربي ... بين الموقف الوطني وموالاته السلطة، <https://www.alquds.co.uk>، بتاريخ:

الساعة 10:12، 2024/05/09

3 فضيلة سيباوي: محاولة لتحديد مفهوم المثقف، المجلة الاجتماعية العربية، المجلد 52، العدد 2، ماي 2015، ص 123.

أكد إبراهيم نصر الله على ضرورة التعليم كركيزة أساسية في حياة الفلسطينيين وأداة للنضال في فترات الشتات لفضح الممارسات وجرائم المستعمر "فلسطين بحاجة لأن تقدم لها شيئاً أكبر من تترك مدرستك من أجلها"<sup>1</sup>، أي أن المثقف الفلسطيني يؤمن بضرورة التعليم لتحرير العقول، كسر قيود الجهل والخرافات، فتح آفاق الإبداع، التفكير والتشجيع على طرح التساؤلات والبحث عن المعارف لتلبية حاجيات المجتمع، كما تطرق إلى الحديث عن دور المكتبات التي تمكنه من التعرف على ثقافة وتاريخ وطنه لفهم طبيعة الصراع وتطوير قدراته في جميع المجالات، يتضح هذا في قوله: "كنت أختار كتباً من المكتبة ما أريد أستعير كتباً أحب بعضها ولا أحب بعضها لكن كل كتاب كان يعلمني شيئاً"<sup>2</sup>، فهي توفر له بنية محفزة على الإنتاج الفكري والاطلاع على كل جديد للتفكير والتنظيم، لأن المثقف ذات واعية، متعلمة ترصد المعاناة الفلسطينية ومنه أصبح التعليم بصفة عامة والمكتبات بصفة خاصة منارة للثقافة والمعرفة ملاذاً للمثقف العربي الفلسطيني في نضاله ضد الاحتلال.

استحضر المظاهرات بوصفها شكلاً من أشكال التعبير الجماعي، للتعبير عن آراءهم ومطالبهم السياسية بغرض التغيير، في مشهد من مظاهرات قام بها إبراهيم ونور وعديد من شخصيات الرواية في مقطع:

"لم تتوقف عن الهتاف.

- الحرية مثل ...

وتتلقى الضربة

- ألمي

وتتلقى ضربة أخرى"<sup>3</sup>.

1 إبراهيم نصر الله: طفولتي حتى الآن، ص 218.

2 المصدر نفسه، ص 218.

3 المصدر نفسه، ص 75.

لتوثيق الأحداث والمطالبة بالحرية ورفض المستعمر الظالم وعدم الخضوع له، يرافق هذا المشهد بمقاطع من أغنية حملت مشاعر الحزن والغضب للدعوة إلى النضال وحمل السلاح من طرف الدولة العربية " ما بدنا دموع وأحزان.

نبكي على القدس وعمان.

بدنا سلاح لنحمي الناس.

من مراكش للبنان"<sup>1</sup>.

وظف الأغنية الشعبية الفلسطينية لتعزيز شعورهم بالانتماء لكسب التعاطف معهم من جهة، ولرفع معنويات المجاهدين من جهة أخرى، توظيف المشاعر الوطنية وهوية الشعب الفلسطيني، تساهم أيضاً الأغاني في تمرير رسائل سياسية هدفها نشر الوعي من خلال التظاهرات، الاحتجاجات أو حتى داخل المدارس.

في مقام الحديث عن إيصال صوت القضية الفلسطينية في المحافل الدولية<sup>2</sup> الجامعات والعالم ككل، سلط إبراهيم نصر الله الضوء على المؤتمر<sup>3</sup> الذي أقيم بجامعة البتراء<sup>4</sup> حول القدس في الرواية لاستكشاف موضوعات اجتماعية، سياسية ووجهات النظر لإيجاد الحلول " في المؤتمر... قدمت شهادة حافلة بأحزان تلك الذكريات، يمكنني أن أعترف أيضاً أن صوت الصفة كان حاضراً فيها وكذلك حرارتها:

- من الذين نعرفهم أكثر من الآخرين؟

- نعرف الشهداء.

- ما الذي نعرفه عن المنفى؟

- نعرف الوطن.

1 المصدر السابق، ص 75.

2 المحافل الدولية: منصات رسمية وغير رسمية يتجمع فيها ممثلو الدول والحكومات، المنظمات الدولية لمناقشة القضايا العالمية والاتفاق على حلول مشتركة.

3 المؤتمر: اجتماع رسمي يجتمع فيه عدد من الأشخاص لمناقشة موضوع محدد أو التوصل إلى قرارات بشأن قضية ما.

4 جامعة البتراء: جامعة أردنية خاصة، تقع في عمان، الأردن تأسست عام 1991 وهي عضو في اتحاد الجامعات العربية.

- ما الذي نعرفه عن حريتنا؟

- نعرف أسرارنا<sup>1</sup>.

هنا توضيح للوضع الراهن بمعرفتهم وتقديرهم للشهداء، الحنين إلى الماضي وضرورة التحرر من القيود وتحقيق الذات هذا المؤتمر فرصة لعرض الأعمال والروايات حول الصراع القائم مع إسرائيل وزيادة الوعي للتواصل مع القضية لكسب الرأي العام.

وظف أيضاً مسرحية تعبر عن المأساة الفلسطينية والقصف الإسرائيلي " قرأت المسرحية، لم تكن طويلة، كان اسمها ( خوازيق )<sup>2</sup> و هي من تأليف فرقة مسرحية فلسطينية اسمها فرقة دبابيس ومقرها الضفة الغربية ...<sup>3</sup>، يمرر من خلالها رسائل فضح الاحتلال الإسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني وصمود هذا الأخير في وجه القهر، الظلم والتعبير عن أملهم في تحقيق الحرية والنصر، حققت هذه المسرحية نجاحاً كبيراً لدى الجماهير العربية والعالمية، ساهمت في زيادة الوعي حول هذه القضية، بالتالي اعتماده على المسرحية التي تطرح القضايا الوطنية والتاريخية بفتح مجال تبادل الحوار بين الفلسطيني والعالم، لتعكس الهوية الوطنية والثقافية، دليل على رؤيته الواسعة لعرض مشكلات مجتمعه وطرح أفكاره.

شخصية المثقف الفلسطيني إبراهيم لم يكتف بالتعليم، المسرحيات والأغاني إنما اعتبر الشعراء والأدباء والروائيون الذين سبقوه مصدر إلهام، تعلم قوة لغتهم ومعانيهم، من الأسماء البارزة في الرواية نجد " نازك الملائكة.. عبد الوهاب البياتي، محمد مهدي الجواهري، أبو سلمى، صلاح عبد الصبور ...<sup>4</sup>، إضافة إلى تأثره بإبراهيم طوقان وأخته " بل إبراهيم طوقان، أخو فدوى طوقان<sup>5</sup>، لأنه يتمتع بالقدرة على التعبير بطريقة مؤثرة، يعبر عن هموم

1 إبراهيم نصر الله: طفولتي حتى الآن، ص 63.

2 خوازيق: الخازوق وسيلة إعدام وتعذيب.

مسرحية خوازيق: مسرحية فلسطينية من تأليف وإخراج محمد عبد الرؤوف محاميد، تم عرضها لأول مرة عام 2022 في مسرح أم الفحم في فلسطين.

3 المصدر نفسه، ص 349.

4 المصدر نفسه، ص 124.

5 المصدر نفسه، ص 229.

وطنه ويدافع عن حقوق شعبه، من بداية الرواية والروائي يشير إلى تأثيره الكبير به حتى وصل به الأمر إلى تسمية أخته "فدوى"، نجد أيضا التأثير ب: نجيب محفوظ، غسان كنفاني وغيرهم، ليكتب شعراً عن قضيته وبلاده في مقطع يقول فيه:

" في زمن القهر المتمدن.

تكبر في الظلمة مأساة الإنسان الباقي في العالم

منبعها آلات العصر الهمجية من محتلين

تفقاً أعين أحلام الأرض ... الفلاحين

بالقمع وأنياب السكين

طوابير رجال الأمن تحيل المنزل والشارع والجامعة

مصائد للناس المظلومين"<sup>1</sup>

هذا الشعر يعبر عن الظلم الذي حل بشعبه، التعذيب الذي تعرضوا له ومعاناتهم العاطفية والجسدية، الظلم العنفي في زمن قهرت فيه الآمال والأحلام.

يؤكد على عدم فقدان الأمل بالنضال والتضحيات بالتلاحم فيما بينهم، لأنه شعور راسخ في أذهان وقلوب الفلسطينيين بتحقيق العدالة، حتى وإن كانوا في المنفى نجد مقطعين الأول يقول فيه:

" الغربية ما تغربنا

وإحنا نحارب بيدنا

بكرة بنحمل عيدنا

ونرجع لأرض بلادي

كبر الأمل يا بلادي

وكبروا معاه أولادي"<sup>2</sup>

1 المصدر السابق، ص 463.

2 المصدر نفسه، ص 325.

إن كانت الذات بعيدة، منعزلة عن الوطن أو مغتربة داخله لا بد من زرع الأمل للعودة إليه واسترجاعه من العدو المغتصب، بتوحيد أفراده ومصيره لأن الأمل راسخ في روح الفلسطينيين المشاركين في المقاومة " استنهاض النفوس وبث روح الأمل فيها من جديد "1، هذا ما أكده في المقطع الثاني بقوله:

" راجعين أحنا راجعين "

نملا الدروب ياسمين

نحضن ربي فلسطين

والسهل وزهر الوادي

كبر الأمل يا بلادي

وكبروا معاه أولادي "2

يكرر في كل مرة "كبر الأمل" ليؤكد على عدم فقدان الأمل والدعوة إلى محاربة جل الاستراتيجيات اليهودية لعودة فلسطين حرة مستقلة، فتوظيف الربي دليل على الصفاء البهجة والإشراق مثل وطنه.

بالرغم من استهداف المثقف الفلسطيني والنخبة المثقفة عامة والضغط عليهم لم يمنعه من الإشارة إلى ذهابه للسينما هو وأمه، أحياناً مع نور وأصدقائه، لأن لها التأثير العميق على المجتمع، عاكسة لمسيرة الشعب الفلسطيني، امتازت بالواقعية والإنسانية " سادخل السينما لمشاهدة فيلم صرخة الحرية "3 "4.

1 رضوان الأخرس: عودة الأمل من القدس،

<https://www.aljazeera.net/blogs/2017/7/28/%D8%B9%D9%88%D8%AF%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D9%84-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%AF%D8%B3>، بتاريخ: 2024/05/10، الساعة: 13:40.

2 إبراهيم نصر الله: طفولتي حتى الآن، ص 325.

3 فيلم صرخة الحرية: صدر سنة 1987 من إخراج ريتشارد أنتينورو يركز على مواضيع التمييز، الفساد السياسي، تداعيات العنف.

4 المصدر نفسه، ص 464.

لم يكن الأمر صعباً على شخصية نور المتعلمة والمتفوقة في الدراسة، إضافة إلى أنها كانت فدائية، تدرّبت لتكون إحدى الزهراء للقيام بالعمليات العسكرية "سارت نور إلى جانبنا والمسدس يتأرجح على خصرها غير قادرة على التحكم فيه"<sup>1</sup>، في ظل الظروف الصعبة التي تعيقهم على الدراسة والكفاح، فنور ناضجة رافضة للجهل والتذلل للأقوياء، التشجيع كان من طرف أبيها وأم (إبراهيم) التي اعتبرتها وزيرة التعليم.

أما صديقه "قاسم وبشير" شجعه على الكتابة بعد مرور الأعوام أصبح لديهما شغف الكتابة أيضاً "واكب قاسم كتاباتي وأصدر كتابات عنها"<sup>2</sup>، هذا ما يدل على أن إبراهيم نصر الله اختار شخصيات مثقفة، تصور الآلام من خلال الإبداعات وإنارة الطريق نحو العلم المعرفة الحرية والكرامة ليكون مصيرهم في نهاية المطاف في اغترابهم لتحقيق أحلامهم.

ظل المثقف الفلسطيني شاهداً على الشتات والتشظي فهو عين المجتمع، للرغبة في التغيير بأفكاره وأيديولوجياته، وجد الروائي الكتابة جسراً للتواصل ووصف الواقع والحفاظ على التراث الثقافي ونقله للأجيال السابقة فالمثقف مصمم على النضال من أجل إعلاء صرخة وطنه، قضيته ومواجهة تحديات ملاحقتهم من طرف العدو واعتقالهم، مصادرة حريتهم على التعبير وهذا ما جسده الروائي في عمله.

ومنه رواية طفولتي جسدت تشظي الهوية وتمزق الذات والصراع بين الأنا الفلسطينية والآخر الصهيوني، أيضاً دور التعليم والثقافة في نشر الوعي، إضافة إلى تعدد الهويات وإعطاء مكانة هامة للمرأة الفلسطينية كل هذا في ظل الاغتراب.

1 المصدر السابق، ص 162.

2 المصدر نفسه، ص 497.

# الخاتمة

الخاتمة:

عانى الفرد الفلسطيني من مآسي قاسية وكوارث رهيبية في كل مجالات حياته اليومية، منعكسة على هويته وذاته، التي يعلمها القريب والبعيد بسبب احتلال فرط في إنسانيته ممارساً أفعالاً شنيعة بحق شعب كامل لتشكل الرواية الفلسطينية مصدر تصوير لما وقع ويقع، حاملة على عاتقها إيصال صوت الشعب وخير نموذج معبر عما تقدم رواية طفولتي حتى الآن لإبراهيم نصر الله التي جسدت تشتتاً وتمزقاً لهوية وذات فلسطينية، في الوقت نفسه رافضة الخضوع، محاولة إثبات نفسها في ظل التعدد الهوياتي والاغتراب المتصاعد.

لنخلص في بحثنا إلى مجموعة نتائج يمكن حصرها في الآتي:

\* مرت الرواية الفلسطينية بمراحل لتصل إلى النضج والرقي بميزاتها وسماتها لإيصال صوت الشعب في الوطن والمحافل الدولية وبث روح المقاومة ونشر الوعي.

\* التشظي يعني: الانقسام، التهكم، التفتت، الانهيار، إما يتجلى في الذات أو الهوية يخلف الصراع، الضياع والأزمات في النفس والمجتمع.

\* تعددت مفاهيم لارتباطها بمجالات مختلفة: علم النفس، علم الاجتماع، الفلسفة، العلوم الإنسانية، هي القلم المشترك بين جميع الأفراد.

\* تقوم الهوية على مقومات أساسية هي: اللغة الدين، التاريخ، الثقافة والأرض، هذه العناصر تشكل هوية وطنية قومية متماسكة.

\* يمثل الوطن الانتماء والاستقرار بالنسبة للفرد أما المنفى يجعل الذات في الضياع واللا استقرار لتعيش حالة الانفصام.

\* يخلق الاغتراب بنوعيه القسري والطوعي حالات: القلق، التكهرب، الخوف، والاكتئاب، وغيرها من الحالات النفسية.

\* يسترجع إبراهيم نصر الله في رواية طفولتي حتى الآن ذكريات طفولته المستمرة العالقة في ذهنه يعبر من خلالها على تمزق الذات الضائعة بين الأرض المحتلة (فلسطين) وموطن

اللجوء (الأردن) كما يعالج الصراعات بأنواعها محاولاً بذلك إثبات ذاته المثقفة من الاحتلال الصهيوني.

\* طرح الروائي تعدد الهويات: الوطنية، الدينية، التاريخية، اللغوية والحضارية لكن التشتت نتيجة الحرب كان أكثر ما يميز الرواية.

\* تدور أحداث الرواية بين أماكن واقعية، رمزية مثل بها الروائي دلالاتها بالنسبة للشخصيات وأماكن متخيلة في ذهنه بغرض الهروب من الواقع الأليم.

\* صور إبراهيم نصر الله مشاهد النكبة والحروب وما خلفته من دمار مادي ونفسي حيث عاش الفلسطينيون بهذا رحلة اللجوء والشرد.

\* تعاني الفئة المثقفة من الاستهداف لأن المستعمر حاول طمس الهوية والتعليم، الثقافة وكل ما له شأن في نشر الوعي بكشف جرائمه وفضحها.

\* استطاع الروائي تجسيد حالة التشظي والانقسام التي يعاني منها الفرد الفلسطيني الضائع والمغترب عن وطنه.

نقول في الأخير أن علاقة الفلسطيني بأرضه علاقة مختلفة، أثرت في هويته وذاته، ظلت مسيطرة عليه بالرغم من التهجير، فحب الوطن ميراث تتداوله الأجيال، امتزجت فيه مشاعر: السعادة، الدهشة، السخط، القلق... المسجلة في أعمال أدبية روائية وغيرها، يسعى أصحابها للعودة ولم الشمل، مشكلة سجلا للدراسة، تفتح أبواباً لتطبيقات مختلفة بعناوين متعددة.

# فهرس المحتويات

أ ..... مقدمة: 3

مدخل

3-01 مفهوم الرواية الفلسطينية: 3

3-02 نشأة الرواية الفلسطينية: 3

3 ..... المرحلة الأولى: البدايات الأولى للرواية 1920 – 1948

4 ..... المرحلة الثانية: رواية النكبة والبعاء على الأطلال 1949-1967

4 ..... المرحلة الثالثة: رواية النكسة والنضال 1968-1987

4 ..... المرحلة الرابعة: رواية الانتفاضة الفلسطينية 1987-1994

5 ..... المرحلة الخامسة: رواية واقع السلطة 1995 حتى الآن

5-03 قضايا الرواية الفلسطينية: 5

6-04 خصوصية الرواية الفلسطينية: 6

8-05 الرواية الفلسطينية من نكبة 1948 حتى الحاضر: 8

الفصل الأول

11 ..... أولاً: مفهوم التشظى: 11

11 ..... 1- لغة: 11

12 ..... 2- اصطلاحاً: 12

13 ..... ثانياً: الهوية وأبعادها: 13

13 ..... 1- لغة: 13

14 ..... 2- اصطلاحاً: 14

15 ..... 3- أبعاد الهوية: 15

15 ..... أ- الهوية من المنظور الاجتماعي: 15

16 ..... ب- الهوية من المنظور النفسي: 16

16 ..... ج- الهوية من المنظور الفلسفي: 16

17 ..... د- الهوية من منظور العلوم الإنسانية: 17

18 ..... 4- مقومات الهوية: 18

18 ..... أ- اللغة: 18

19 ..... ب- الدين: 19

20 ..... ج- التاريخ: 20

21 ..... د- الثقافة: 21

23 ..... ثالثاً: تشظى الهوية وانشطار الذات: 23

24 ..... رابعاً: ماهية الذات: 24

24 ..... لغة: 24

25 ..... اصطلاحاً: 25

26 ..... علاقة الذات بالهوية: 26

27 ..... ثنائية الوطن والمنفى: 27

28 ..... 01- الوطن: 28

28 ..... أ- لغة: 28

28 ..... ب- اصطلاحاً: 28

29 ..... ج- حضوره في الأعمال الروائية العربية الحديثة: 29

31 ..... 02- المنفى: 31

31 ..... أ- لغة: 31

31	ب-اصطلاحا:
33	ج- المنفى بين القسرية والطوعية:
33	تغير دلالات المنفى:
34	د- حضوره في الأعمال الروائية العربية الحديثة:
35	<b>03- المنفى وتشكلات الاغتراب:</b>
35	أ- لغة:
36	ب-اصطلاحا:
37	ج- أنواع الاغتراب:

## الفصل الثاني

39	تمثلات تشظى الهوية بين الوطن والمنفى في رواية (طفولتي حتى الآن) لإبراهيم نصر الله:
40	أولاً: التعريف بالروائي إبراهيم نصر الله:
42	ثانياً: ملخص الرواية:
43	ثالثاً: صورة التشنت الإنسانية والتمزق الذاتي في عنوان الرواية (طفولتي حتى الآن):
46	رابعاً: مشاهد من النكبة: بين تفكك الحياة وتبعثر الذات:
51	خامساً: تمظهرات صراع الذوات في الرواية:
51	1- صراع الفلسطيني مع ذاته:
53	2- صراع المرأة الفلسطينية المناضلة:
54	3- صراع الأنا الفلسطينية مع الآخر الصهيوني:
57	4- علاقة الأنا بالآخر العربي:
59	سادساً: اغتراب الأمكنة في الرواية:
60	1- الأماكن الرمزية:
60	أ- فلسطين:
61	ب- الأردن:
61	2- الأماكن الواقعية:
61	أ- المخيم:
62	ب- القرية:
62	ج- البيت:
63	د- المدرسة:
63	هـ- الشارع:
64	3- الأماكن المتخيلة:
64	أ- المطار:
64	ب- أوروبا:
65	ج- أمريكا:
65	سابعاً: زمن الذاكرة:
67	ثامناً: تعدد الهويات في الرواية:
67	1- الهوية الوطنية:
69	2- الهوية الدينية:
72	3- الهوية اللغوية:
75	4- الهوية التاريخية:
76	5- الهوية الاجتماعية:

## فهرس المحتويات

81	6- الهوية الحضارية:.....
84	تاسعاً: صورة المثقف الفلسطيني فى إثبات ذاته:.....
92	الخاتمة:.....
109	ملخص المذكرة:.....

قائمة المصادر  
والمراجع

القرآن الكريم.

المصادر:

- إبراهيم نصر الله: طفولتي حتى الآن، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار إقرأ للنشر، الإمارات العربية المتحدة، التوزيع في المملكة العربية السعودية، ط1، 2022.

المراجع العربية:

- أحمد علي الفلاحي: الاغتراب في الشعر العربي، دراسة اجتماعية نفسية، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2013.
- بسام موسى قطوس: سيمياء العنوان، مكتبة كتانة، عمان، الأردن، ط1، 2001.
- حسن حنيفي: الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2012.
- حسين محمد حسين الصليبي: الرواية الفلسطينية وتجلياتها الفنية والموضوعية في الأرض المحتلة بعد اتفاقية اوسلو 1992م.
- حلیم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية (مناهات الإنسان بين الحلم والواقع)، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، أيلول/ سبتمبر 2006.
- حلیم بركات: غربة الكاتب العربي، دار الساقى، بيروت، لبنان، ط1، 2001
- خليل نوري مسيهر العاني: الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، دار الكتب والوثائق العراقية، بغداد، ط1، 2009.
- سالم لبيض: الهوية الإسلام العروبة التونسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2009.
- سالم معوش: صورة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرحاب الحديثة، ط1، بيروت، لبنان، 1998.
- سعد البازعي وميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002.

- سيزا قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2004.
- سيغموند فرويد: الأنا والهو، مكتبة التحليل النفسي والعلاج النفسي، دار الشروق، القاهرة، ط 4، 1982.
- عباس عبد حاسم: ما وراء السرد، ما وراء الرواية، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، بغداد، ط1، 2005.
- عبد السلام المسدي: الهوية العربية والأمن اللغوي، دراسة وتوثيق، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، 2014.
- عبد الله أبو بكر الأنصاري: شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة، دار الحداثة، لبنان، بيروت، ط1، 2014.
- عبد الله العروي: الإيديولوجية العربية المعاصرة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1995.
- عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، الكويت، د ط، 1998.
- فتحي المسكيني: الهوية والزمان، تأويلات فينومينولوجية لمسألة النحن، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2001.
- كلود دوبار: أزمت الهوية، المكتبة الشرقية، بيروت، لبنان، ط1، 2014.
- مارسيل غوتشيه: الدين في الديمقراطية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2007.
- مجموعة مؤلفين: اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، 2013.
- محمد الشحات: سرديات المنفى الرواية العربية بعد عام 1967، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006.

- محمد برادة: الرواية العربية ورهان التجديد، الصدى للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2011.
- نبال قندس: يافا، حكاية غياب ومطر، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2014.
- وحيد تاجا: الرواية الفلسطينية، حوارات نقدية، تق: فيصل دراج، دار الجندي، القدس، د. ط، 2014.

#### المراجع المترجمة:

- جون جوزيف: اللغة والهوية، قومية اثنية دينية، تر: عبد النور خراقي، عالم المعرفة، 2007.
- عبد العالي بوطيب وآخرون: الرواية العربية في المنفى، تح: نجم عبد الله كاظم، دار كتارا للنشر، ط1، 2020.
- أليكس ميكشيللي: الهوية، تر: علي وطفة، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق، ط1، 1993.
- جويل كاندو: الذاكرة والهوية، تر: وجيه أسعد، الهيئة العامة السرية للكتاب، دمشق، 2009.
- هارلمبس وهولمبورن: سوسيولوجيا الثقافة والهوية، تر: حاتم حميد محسن، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2010.
- بيتر كوزن: البحث عن الهوية، الهوية وتشتتها في حياة إريك إيركسون وأعماله، تر: سامر جميل رضوان، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة، 2010.

#### المعاجم:

- عبد الحق الكتاني: معجم اللغة العربية (المغني).
- معجم اللغة العربية: المعجم الوجيز، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 2000.

▪ إبراهيم مصطفى وآخرون: معجم الوسيط، مادة (ش ظ ي)، مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2008.

▪ ابن منظور: لسان العرب مادة (شظي)، س أدب الجوزة، إيران، 1984، ج14.

#### المجلات:

▪ محمد فليح الجبوري: الهوية السرديّة المفهوم والتجلي، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 18، العدد 1، 2021.

▪ فضيلة سيساوي: محاولة لتحديد مفهوم المثقف، المجلة الاجتماعية العربية، المجلد 52، العدد 2، ماي 2015.

▪ أمل عبد الفتاح شمس: مفهوم الذات وصورة الآخر لدى عينة من الأحداث المودعين بمؤسسات الأحداث بالقاهرة الكبرى، مجلة العلوم البيئية، معهد الدراسات والبحوث البيئية، جامعة عين شمس، حلوان، مج 44، العدد 2، ديسمبر 2018.

▪ فتحي أبو مراد: دراسة تحليلية في الرواية الفلسطينية، قراءة في الشخصية النسوية المحورية والثانوية، معهد اتحاد الجامعات العربية للآداب، مج 10، ع 1، 2013.

▪ محمد العرابي: الوطن في الذهنية العربية بين الماضي والحاضر، مجلة اللغة العربية جامعة بشار، العدد السادس والثلاثون.

▪ أمين خالد دراوشة: الأنا الفلسطينية وتأثيرها على الآخر الإسرائيلي في رواية الوجوه، لوليد أبو بكر، مجلة الأنا الفلسطينية والآخر الإسرائيلي، ع 82، 2013.

▪ بثينة نصيرة: المنفى بعيون فلسطينية، مفهوم المنفى في فكر ادوارد سعيد، مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية، المركز الجامعي، الجزائر، بريكة، مج6، ع2، 2021.

▪ بوشوشة بن جمعة: جدلية الوطن والمنفى وذاكرة الرهانات الخاسرة في رواية شرفات بعد الشمال، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، المعهد العالي للغات، العدد 05، 2005.

- سعدية بن دنيا: الهوية الدينية وسؤال الاختلاف، مجلة مقدمات، جامعة مستغانم، الجزائر، العدد 04، 2017.
- شهاب الدين محمد أبو زهر: المسؤولية الوطنية نحو الوطن، دراسة موضوعية في ضوء السنة النبوية، جامعة الملك خالد، كلية الشريعة وأصول الدين السعودية، المجلد 6، العدد 36.
- طارق زياد محمد: الآخر مفهوما ثقافيا في الدراسات الثقافية، مجلة الباحث، مج 13، العراق، 2021.
- عامر ممدوح خيرو: التاريخ بوصفه أداة لتعزيز الهوية الوطنية (قراءة في رسائل فضل الأندلس)، الجامعة العراقية، كلية الآداب، مجلة مداد للآداب، العدد 25، 2020/2019.
- فخري صالح: أدب المنفى والتجربة الفلسطينية، مجلة العربي، سبتمبر 2009.
- محمد أنور إسماعيل: تشظي الهوية وانشطارها في رواية العودة إلى جذوري البدوية لسيف شمس الدين، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة المستنصرية، ع 45، 2019.
- مفيدة بنوناس: تمظهر الخطاب الديني في الرواية المغاربية المعاصرة، المركز الجامعي، مجلة الأثر، ع 13، الطارف، 2012.
- **مذكرات ورسائل جامعية:**
- الصديق طراد: تشظي الدلالة من العنوان إلى النص الشعري الجزائري المعاصر من 1990 إلى 2010، مذكرة ماجستير في الآداب واللغة العربية جامعة محمد خيضر، بسكرة 2015/2014.
- نبيلة فراحتية: تشظي الهوية وانشطار الذات في الخطاب الروائي الجزائري، قراءة في روايتي "الانطباع الأخير" و "ما لا تذروه الرياح"، رسالة دكتوراه في الدراسات الأدبية والنقدية، جامعة البليدة، الجزائر، 2021/2020.

- بكار فتحي: الاغتراب السياسي وأثره على المشاركة السياسية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة سعيدة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، 2013/2012.
- شهيب عادل: الثقافة والهوية، إشكالية المفاهيم والدلالة، الملتقى الدولي حول مجتمع المخاطرة، جامعة جيجل، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، 5/4 ماي 2009.
- فيصل حصيد، عبد القادر نويوة: ارتياب الكتابة في حتمية المنفى وسردية الانتماء، ادوارد سعيد في خارج المكان، كلية الآداب واللغات، جامعة عباس لغرور، خنشلة، العدد 17، جوان 2015.

#### المواقع الإلكترونية:

- ناهض زقوت: مراحل تطور الرواية الفلسطينية، [www.amad.com.ps](http://www.amad.com.ps).
- حسن قسيم عبيدات: خصوصية الرواية الفلسطينية، مجلة بحوث التربية والنوعية، جامعة جرش الأصلية، الأردن، قسم اللغة العربية،  
<https://mbse.journals.ekb.eg/> ،
- رائد الحواري: النكبة في الرواية الفلسطينية، بتاريخ <https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=793582> ، 27-03-2024، الساعة 14:22.
- شريف مراد: موسم الهجرة إلى الشمال وسؤال الهوية عند الطيب صالح،  
<https://www.aljazeera.net/midan/intellect/literature/2017/1/17/%D8%B3%D8%A4%D8%A7%D9%84-%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D8%B9%D9%86%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B7%D9%8A%D8%A8->

[%D8%B5%D8%A7%D9%84%D8%AD](#) ، بتاريخ 2024/02/28 ،

الساعة 22:07.

▪ [https://mawdoo3.com/%D8%A5%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D9%87%D9%8A%D9%85\\_%D9%86%D8%B5%D8%B1\\_%D8](https://mawdoo3.com/%D8%A5%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D9%87%D9%8A%D9%85_%D9%86%D8%B5%D8%B1_%D8)

[%A7%D9%84%D9%84%D9%87](#) ، بتاريخ : 2024/05/18 ، الساعة : 13:

30:

▪ الرواية الفلسطينية من 1948 حتى أسلو ،

▪ <https://aawsat.com/home/article/2913711/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D8%A7%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D9%85%D9%86-1948-%D8%AD%D8%AA%D9%89->

04- بتاريخ 17- 04 ، [%D8%A3%D9%88%D8%B3%D9%84%D9%88](#)

2024- ، الساعة 22:35.

▪ أمينة فلاتة: الوطن في ميزان الأدب بين الاغتراب ، [www.fargad.sa](http://www.fargad.sa) ، بتاريخ

20 مارس 2024 ، الساعة 18:00.

▪ <https://common-ground-> أنجيل الشاعر: الهوية والذات ،

[sy.org/civil\\_society/%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B0%D8%A7%D8%AA.html](https://civil_society/%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B0%D8%A7%D8%AA.html) ،

، بتاريخ 18- 03- 2024 ، الساعة 16:00.

▪ حسيب شحادة: قاموس اللهجات العربية الفلسطينية العتيد نظرات في قاموس

البرغوثي ، <https://www.raialyoum.com/> ،

- دنيا محمود: خصائص الثقافة في علم الاجتماع وأنواعها، <https://www.almrsal.com/post/1130566>
- رضوان الأخرس: عودة الأمل من القدس، <https://www.aljazeera.net/blogs/2017/7/28/%D8%B9%D9%88-%D8%AF%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D9%84-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%AF%D8%B3>.
- علي لفته سعيد: المثقف العربي ... بين الموقف الوطني وموالاته السلطة، <https://www.alquds.co.uk/>
- فادي أبو بكر: الهوية العقدية الفلسطينية من النشأة إلى التشتت. <https://www.maanneews.net/articles/871528.html>
- فخري صالح: النكبة والرواية، أعمال روائية تبلور الهوية الفلسطينية، <https://alarabi.nccal.gov.kw/Home/Article/4837>
- نور الدين الهاشمي: فلسطين حاضرة في مدونة السرد العربي، <https://www.alwatan.com/article/89071/%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B7%D9%86/%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86-%D8%AD%D8%A7%D8%B6%D8%B1%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D8%AF%D9%88%D9%86%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%B1%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A>

- وليد القططي: جرائم القتل في فلسطين صراع الضحايا والحل الوطن،

<https://www.almayadeen.net/articles/%D8%AC%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%AA%D9%84-%D9%81%D9%80%D9%8A-%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86----%D8%B5%D8%B1%D8%A7%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D8%B6%D8%AD%D8%A7%D9%8A%D8%A7-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%84-%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B7%D9%86%D9%8A> بتاريخ

2024-05-06، الساعة 22:50.



ملخص  
المذكرة

ملخص المذكرة:

يعالج بحثنا المعنون بتشظيات الهوية بين الوطن والمنفى، في رواية طفولتي حتى الآن لإبراهيم نصر الله قيمة وأهمية الهوية في حياة الفرد والمجتمع كونها الركيزة الأساسية في تشكيل الذات وتعزيز الانتماء والولاء للوطن، تعد بمثابة الروح والجسد في حياته، لينعكس ذلك على الذات فتشعر بالنقص، الضياع، القلق، تخلق له جملة من الصراعات نتيجة انشطار هويته، جاءت الرواية الفلسطينية لتجسيد حالة الشعب الفلسطيني ومعاناتهم بعيداً عن وطنهم، كما برزت رواية طفولتي حتى الآن لإبراهيم نصر الله تمظهرات تشظي هوية الذات وبيان دور المرأة المناضلة في الكفاح والنضال، وموقف إبراهيم نصر الله اتجاه الآخر.

الكلمات المفتاحية:

الهوية، التشظي، الذات، فلسطين، الصراع، الآخر، طفولتي حتى الآن.

**Summary of the memorandum:**

Our research, titled "Identity Fragmentation between Homeland and Exile in **Ibrahim Nasrallah's** Novel '**My Childhood Up to Now**', addresses the value and importance of identity in the life of the individual and society as the fundamental cornerstone in shaping the self, enhancing belonging, and loyalty to the homeland. Identity is considered the soul and body in one's life, reflecting on the self, leading to feelings of inadequacy, loss, and anxiety, creating a series of conflicts due to the fragmentation of one's identity. Palestinian literature emerged to embody the situation of the Palestinian people and their struggles away from their homeland. Ibrahim Nasrallah's novel "**My Childhood Up to Now**" highlights manifestations of self-identity fragmentation and the role of the resilient woman in the struggle and resistance, as well as **Ibrahim Nasrallah** stance towards the other.

**Keywords:**

Identity, Fragmentation, Self, Palestine, Conflict, Other, My Childhood Up to Now.